

بَرنامِج

"في ظلالِ الكَلِمَةِ"

سفر الأعمال ورسالة رومية

الكُتِيب رَقْم ١٢

بِقَلَم: القس الدكتور دِكْ وُودوُورد

ترجمة: القس الدكتور بيار فرنسيس

الفصل الأول

"أعمال المسيح المقام"

إنَّ سفرَ الأعمال هو السفرُ الوحيدُ الموحى به، والذي يتكلمُ عن تاريخ الكنيسة في العهد الجديد. إنَّه بمثابة حلقة وصلٍ بينَ الأناجيل الأربعة ورسائل بولس الرسول الثلاثة عشر. ولولا هذا الكتاب التاريخي، لَكُنْتَ فوراً بدتُك بقراءة رسائل بولس، ستساءلُ قائلاً، "من هو هذا الرسولُ المُسمَّى بولس؟ فأنا لم أقرأ عنه شيئاً في الأناجيل." ولولا السفر الذي سندرُسُهُ، لكانَ هناك حلقةٌ مُفرَّعةٌ كبيرة في العهد الجديد.

بمعنى ما، تُعتبرُ الأسفارُ الخمسةُ الأولى في العهد الجديد أسفاراً تاريخية. لأنَّ الأسفارَ الأربعة الأولى، أي الأناجيل، رُغمَ كونها قصصاً موحى بها عن حياة يسوع، إلا أنَّها في نفس الوقت مرجعٌ تاريخي. ويُعتبرُ سفرُ الأعمال السفرَ التاريخي في العهد الجديد. ونجدُهُ موضوعاً على حدةٍ من الأناجيل، لأنَّه كتابُ تاريخ كنسية العهد الجديد.

يبدأ سفرُ الأعمال بالقول: "الكلامُ الأوَّلُ أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوعُ يفعله ويُعلِّمُ به، إلى اليوم الذي ارتفعَ فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرُّسلَ الذين إختارَهُم." (أعمال ١ : ١، ٢).

عندما نقرأ هذه الأعداد الأولى من سفرِ الأعمال، يتضحُ لنا أنَّ كاتبَ سفرِ الأعمال هو نفسه كاتبُ الإنجيلِ الثالث، إنجيل لوقا، وأنَّه يُوجِّهُ سفرَ الأعمال لنفسِ الشخص الذي وجَّهَ له الإنجيل الثالث. ثاوفيلس، الذي يعني اسمه "محبُّ الله"، إعتبرهُ لوقا شخصاً يستحقُّ إستلامَ هكذا وثيقتين قيمتين ومميزتين.

في سفرِ الأعمال، يُتابعُ لوقا مُكمِّلاً ما بدأ كِتابته في الإنجيل الذي يحملُ اسمه. كتبَ لوقا أنَّه في إنجيله، أعطى سِجلاً تاريخياً دقيقاً عن جميع ما ابتدأ يسوعُ يفعله ويُعلِّمُ به، إلى يومِ صُعودِهِ. ولكنَّ لوقا يُخبرنا على آيةٍ حال، أنَّ يسوعَ بعدَ صُعودِهِ، إستمرَّ "يعملُ ويُعلِّمُ" من خلالِ الرُّسل. لهذا تُسمَّى الكثيرُ من نسخاتِ الكتاب المقدَّس هذا السفرَ "أعمال الرُّسل".

عندما نفهم أهميّة يوم الخمسين، سنعتقدُ أنّ عنوانَ هذا السفر ينبغي أن يكون، "أعمال الروح القدس من خلال الرُّسُل". وبما أنّ بَطْرُسُ يُعيدُ كُلَّ آياتِ ومُعْجَراتِ يوم الخمسين للمسيح الحيّ المقام، يُعتبرُ العنوانُ الأكثرُ ملاءمةً لهذا السفر هو، "أعمالُ المسيح المقام من خلال الرُّسُل". (٢: ٣٢، ٣٣)

لاحظوا أنّ سفرَ الأعمال لا ينتهي، بل ببساطة يتوقّف. يعتقدُ بعضُ المُفسِّرين أنّ هذا يرجعُ إلى كونِ لوقا قد تمّ توقيفُهُ في السجن، ولم يعدُ قادراً على إهاءِ كتابةِ السفر. ويعتقدُ آخرون أنّ السفرَ لا ينتهي، لأنّه تاريخُ الكنيسة، ونحنُ لا نزالُ نصنَعُ هذا التاريخ.

علامَ علينا أن نبحثَ في سفرِ الأعمال؟

بما أنّ سفرَ الأعمال هو سفرٌ تاريخيٌّ، علينا أن نقتربَ منه كما إقتربنا من أسفار العهد القديم التاريخيّة الإثني عشر. يُخبرنا الرسولُ بولسُ كيفَ ينبغي أن ننظرَ إلى السردِ التاريخي في الكتاب المقدّس. قال، "جميعُ هذه الأمور قد حدثتْ لهم لتكونَ لنا مثلاً، نحنُ الذين إنتهتْ إلينا أواخرُ الدهور." (١ كورنثوس ١٠: ١١). لهذا، علينا أن ننظرَ إلى نماذجٍ وتحذيراتٍ عندما نقرأُ سفرَ الأعمال.

القصْدُ من الكنيسة

بينما نقرأُ هذا السفر التاريخيِّ، فتشّوا عن الهدف المقصود من الكنيسة. فعندما وصلَ يسوعُ إلى خاتمةِ الوقتِ الذي قضاهُ معَ رُسُلِهِ، أعطاهم ما تُسمّيه "المأموريّة العظمى". وسوفَ تجدونَ هذه المأموريّة العظمى في نهايةِ كُلِّ إنجيلٍ من الأناجيل الأربعة. ففي إنجيلِ متى، كانت كلماتُ يسوعِ الأخيرة لتلاميذه هي التالية:

"دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ. فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمَعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ." (متّى ٢٨: ١٨ - ٢٠).

يبدأُ سفرُ العهدِ الجديدِ التاريخي بنفسِ الطريقةِ التي تنتهي بها الأناجيل، بالمأموريّة العظمى. هذه الوصيّة أو المأموريّة العظمى تحتوى على وصيّةٍ واحدةٍ هي: "تَلْمِذُوا". ثمَّ هناكُ أربعةُ أجزاءٍ للمأموريّة، وهي: الذهاب، التبشير، التعميد، والتعليم.

وهذا ما يحدثُ بالتحديد في سفر الأعمال. فكانَ الرُّسُلُ حيثُما كانوا يذهبون يُتلمذونَ أشخاصاً ليسوع، ويُعمِّدون، ويُعلِّمون. ولكنَّ المأموريَّةَ والهدفَ المركزيَّ المعطى للكنيسة هو المأموريَّةُ العُظمى. قالَ أحدُهم أنَّ المأموريَّةَ العُظمى هي بمثابةُ شرعةِ الكنيسة أو دُستورها أو هدفها المكتوب. وككُلِّ مُؤسَّسةٍ أُخرى، يتحتَّمُ على الكنيسة أن تُتَمِّمَ بُنودَ شرعتها وإلا زالت من الوجود.

الوعدُ المعطى للكنيسة

في الأعداد الأولى من سفر الأعمال، يُخبرنا لوقا أنَّ يسوعَ أعطى وصاياهُ للرُّسُل قبلَ صعودِهِ إلى السماء. فبالإضافة إلى المأموريَّةِ العُظمى، أوصى يسوعُ تلاميذه أن ينتظروا. "انتظروا موعدَ الآبِ الذي سمعتموه مِنِّي." (أعمال ١ : ٤، ٥). فلقد سبقَ ووعدَ يسوعُ تلاميذه في العليَّةِ بأنَّه سيرسلُ لهم الرُّوحَ القدس. فهو الآن يأمرهم بشكلٍ أساسيٍّ بأن لا يأخذوا الخطوةَ الأولى بِإطاعةِ مأموريَّتهِ العُظمى، قبلَ أن يتحقَّقَ هذا الوعد. يتكلَّمُ الكتابُ المقدَّسُ كثيراً عن إنتظارِ الربِّ. ألقى إشعياءُ إحدى أفضلِ عِظائِهِ حولَ موضوعِ الإنتظار: "وأما مُنتظروا الربَّ فيجددونَ قُوَّةً. يرفعونَ أجنحةً كالنُّسور. يركضونَ ولا يتعبونَ يمشونَ ولا يُعيون." (إشعياء ٤٠ : ٣١).

عندما طلبَ الربُّ من شعبِهِ في إشعياء ٤٠ أن ينتظروا كما تنتظرُ النُّسور، وأن يرفعوا أجنحةً كما ترفعُ النُّسور، كانَ يُشاركُ معهم ومعنا حقيقةً ثمينَةً عن الإيمان. فهناك أوقاتٌ لا تطيرُ فيها النُّسور. إذ يقفُ النسرُ على طرفِ عُشِّهِ أحياناً لساعاتٍ طوالٍ قبلَ أن يطير، إلى أن تهبَّ الرياحُ المناسبةُ. فعندما يلاحظُ النسرُ أنَّ الرِّيحَ قويَّةً بما فيه الكفاية، يقفزُ النسرُ حوالي خمسة أمتار من عُشِّهِ، ويفردُ جناحيه لتحمله الرياحُ، فيحلُّقُ كطائرةٍ في الأفقِ فوقَ العواصفِ والرياحِ.

على ضوءَ هذه الحقائق، أنظروا إلى الوصيَّةِ المُعطاةِ للكنيسة في أعمال ١ التي تنتظرُ تحقيقَ الوعد. تصوِّروا الكنيسةَ وكأنَّها نسرٌ يجلسُ على طرفِ عُشِّهِ، منتظرةً هبوبَ رياحِ الروحِ القدسِ يومَ الخمسين. عندما تقرأونَ الإصحاحَ الثاني من هذا السفر، تصوِّروا النسرَ يقفزُ من عُشِّهِ، واثقاً بالرياحِ لتعطيه الديناميكيَّةُ الدافعةُ ليحلُّقَ فوقَ هذه الرياحِ المضادة.

القوةُ المُعطاةُ للكنيسة

يَصِفُ الإِصْحَاحُ الثَّانِي مِنْ سَفَرِ الأَعْمَالِ حُلُولَ الرُّوحِ القُدُسِ يَوْمَ الخَمْسِينَ. فَيَوْمُ العَنَصَرَةِ هُوَ أَحَدُ أَهَمِّ الأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِ شَعْبِ اللهِ، لِأَنَّ الكَنِيسَةَ بِبَسَاطَةٍ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحَقِّقَ الهَدَفَ المَرْجُوءَ مِنْهَا، إِنْ لَمْ تُحَلِّ عَلَيْهَا قُوَّةُ الرُّوحِ القُدُسِ. وَهَذَا يَصْدُقُ عَلَى الصَّعِيدِ الفَرْدِيِّ أَيْضًا. فَعِنْدَمَا نُحَاوِلُ أَنْ نُتَلَمِّدَ شَخْصًا لِيَسُوعَ المَسِيحِ، بَدُونِ قُوَّةِ الرُّوحِ القُدُسِ نَكُونُ نُحَاوِلُ عَمَلَ المُسْتَحِيلِ.

الأداء المُقَدَّمُ مِنَ الكَنِيسَةِ

قَدْ تَذَكَّرُونَ أَنَّ تَشْدِيدَ تَعَالِيمِ يَسُوعَ فِي المَوْعِظَةِ عَلَى الجَبَلِ لَمْ يَكُنْ الوَظِيفَةَ أَوْ المَرْكَزَ، بَلِ الأَدَاءُ وَالإِنْجَازُ (مَتَّى ٥ - ٧). فَبِالنَّسَبَةِ لِيَسُوعَ، الأَمْرُ المَهْمُ لَيْسَ مَا نَقُولُهُ، بَلِ مَا نَعْمَلُهُ. لَقَدْ شَدَّدَ عَلَى هَذِهِ القِيَمَةِ خِلالَ تَعْلِيمِهِ للرُّسُلِ. لِهَذَا، عَلَيْنَا أَنْ لَا نَتَفَاجَأَ عِنْدَمَا نَقْرَأُ أَنَّ عَالَمَ القَرْنِ الأوَّلِ أُدْهِشَ بِأَدَاءِ الكَنِيسَةِ.

هُنَاكَ عِدَّةُ أُمُورٍ جَدِيدَةٍ بِالإِعتِبَارِ فِي مَلاحِظَةِ أَدَاءِ الكَنِيسَةِ. أوَّلُ هَذِهِ الأُمُورِ الجَدِيدَةِ بِالإِعتِبَارِ هُوَ وَعْظُ الرُّسُلِ. هُنَاكَ الكَثِيرُ مِنَ الوَعْظِ العَظِيمِ فِي سَفَرِ الأَعْمَالِ، وَيَبْدَأُ هَذَا الوَعْظُ يَوْمَ الخَمْسِينَ. النَتِيجَةُ الأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً لِيَوْمِ الخَمْسِينَ كَانَتْ صَيُورَةُ ثَلَاثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ تَلَامِيذَ لِيَسُوعَ فِي يَوْمِ الخَمْسِينَ. فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ وَعَظَ فِيهَا بِطَرُوسَ بَعْدَ يَوْمِ الخَمْسِينَ، تَجَدَّدَ الآلاَفُ مِنَ النَاسِ وَتَحَنَّنُوا لِيُصْبِحُوا تَلَامِيذَ لِيَسُوعَ المَسِيحِ.

لَقَدْ كَانَ وَعْظُ الرُّسُلِ فِي سَفَرِ الأَعْمَالِ وَعَظًا مَمْسُوحًا. وَأَنَا أَقْصِدُ بِهَذَا أَنَّ رُوحَ اللهِ القُدُّوسِ كَانَ يَجِلُّ عَلَيْهِمْ عِنْدَمَا كَانُوا يَعْظُونَ. هَذَا مَا يُسَمَّى بِالمَسْحَةِ فِي الكِتَابِ المَقْدَسِ، الَّذِي يَعْنِي مَسْحَةَ الرُّوحِ القُدُسِ الَّتِي تَمُنَحُ القُوَّةَ لِلَّذِي يَقُومُ بِالخِدْمَةِ، الأَمْرُ الَّذِي صَارَ يُعْرَفُ بِمَوَاهِبِ الرُّوحِ القُدُسِ.

لَا حِظَ بِعِنايةِ سِجِلِّ مَوَاعِظِ بِطَرُوسَ فِي سَفَرِ الأَعْمَالِ. لَنْ تَجِدَ فِيهِ أَيَّ شَيْءٍ مُمَيَّزًا. فَلِمَاذَا تَجَدَّدَ الآلاَفُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَعَظَ فِيهَا بِطَرُوسَ؟ لِأَنَّ بِطَرُوسَ كَانَ مَمْسُوحًا وَمُؤَيَّدًا بِالرُّوحِ القُدُسِ الَّذِي كَانَ يَجِلُّ عَلَيْهِ عِنْدَمَا كَانَ يُلقِي هَذِهِ العِظَاتِ. لَقَدْ إِيْتَهُمُ تَلَامِيذُ يَسُوعَ بِأَنَّهُمْ مَلَأُوا كُلَّ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِهِمْ (أَعْمَالُ ٥ : ٢٨). فَهَلْ نَحْنُ الَّذِينَ نَتَّبِعُ المَسِيحَ اليَوْمَ مُتَهَمُونَ بِهَذَا، وَهَلْ هُنَاكَ مَا يَكْفِي مِنَ الأَدَلَّةِ لِإِلقاءِ هَذَا الإِتِّهَامِ عَلَيْنَا؟

فما هي الكنيسة إذاً؟

بينما تدرُسُ سفرَ الأعمال، لاحظْ أنَّكَ سوفَ تتعرَّفُ على حوالي الخمسينَ شخصيَّةً في هذا السفر التاريخي عن كنيسة العهد الجديد. إنَّ كلمة "كنيسة" هي باليونانية "إكليسيا" الذي يعني "جماعة" أو "مدعوون إلى خارج"، أي أشخاص مدعوون إلى خارج هذا العالم ليتبعوا المسيح المقام ويتمتعوا بالشركة معه ومع بعضهم البعض. فبالمعنى الدقيق للكلمة، تعني كلمة "كنيسة": "أشخاص أو أناس".

خلال قراءتك لسفر الأعمال للمرة الأولى، حاول أن تتألف مع خمسين شخصاً على الأقل، بالإضافة إلى بطرس وبولس. إنَّ سفر الأعمال يتكلَّم بمُجمَلِه عن أناسٍ إعتياديِّين كانوا يعملون أموراً غير إعتياديَّة، بسبب كونهم مملوئين من قوَّة روح الله. إنَّ هذا الإله نفسه وهذه القوَّة نفسها متوفِّرة لنا اليوم لنعمل عمل الله (متى ٢٨: ١٨ - ٢٠).
عندما تخدمُ الرَّبَّ اليوم، هل تدخلُ إلى حضرة الله قبل أن تخرُج وتذهب من أجله؟ وهل تنتظرُ في حضرته لتأتي عليك مسحة قوَّة الروح القدس، أم أنَّكَ تذهبُ ببساطة وتُحاول أن تعملَ عملَ الله بقوَّتِكَ؟ إحدى رسائل سفر الأعمال هي أننا بدونِ عونِ الله لن نستطيع أن نُكَمِّلَ عملَ الله. فعلينا إذاً أن ننتظرَ نوال قوَّة الروح القدس قبل أن نُحاول أن نعملَ عملَ المسيح الحيِّ المقام.

الفصل الثاني

"البصمات المنظورة للكنيسة غير المنظورة"

بدأ الإصحاح الثاني من سفر الأعمال بوصف يوم الخمسين، الذي شهد ولادة الكنيسة (أعمال ٢: ١ - ١٨). فعندما تقتربُ من هذا الإصحاح، من المهم أن ندرك قبل كلِّ شيء أن هذا الحدث العظيم حدثَ في يوم عيدٍ ديني مقدَّس، هو يوم الخمسين أو العنصرة. لقد كان هذا اليوم عيداً يهودياً، كانوا يحتفلون به بعد الحصاد بيوم الشكر. هناك الكثير من المعنى والرمز في كون هذا الحدث الجميل والهام قد حدثَ في يوم تذكاري الحصاد، لأنَّ حصاداً روحياً عظيماً كان سيبدأ آنذاك. ففي يوم الخمسين، بدأ المسيح الحيُّ المقام ببناء الكنيسة، التي ستبشِّرُ العالمَ معه وبه.

لقد أصبحَ هذا مُمكنًا لأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ حلَّ بِقُوَّةٍ في ذلكَ اليومِ. وكانتَ هُنَاكَ آياتٌ وعجائبٌ أُخرى رافقتَ حُلُولَ قُوَّةِ يومِ الخمسينِ. كانَ هُنَاكَ صوتٌ، ضجَّةٌ كريحٍ عاصفةٍ. ثُمَّ ظهرتَ ألسِنَةٌ كأنَّها من نارٍ واستقرَّتْ على رؤوسِ الأشخاصِ الذين كانوا "يتنبأون". ثُمَّ أخذَ هؤلاءِ الأشخاصُ أنفسهم يتكلمونَ بلغاتٍ أُخرى.

هنا نجدُ سُؤالاً وجواباً يُساعداننا على التركيزِ على معنى هذا الإصحاحِ. كانَ السُّؤالُ، "ماذا يعني هذا؟" ولقد أجابَ عنه بطرسُ في عظمتِهِ بالقولِ، "هذا ما قيلَ بيُوئيلَ النبي." إن ما تنبأَ به يُوئيلُ كانَ أَنَّهُ في آخِرِ الأيَّامِ سوفَ يسكُبُ اللهُ روحَهُ على أبنائِهِ وبناتِهِ وسوفَ يتنبأونَ (يُوئيلَ ٢: ٢٨، ٢٩).

يومَ الخمسينِ، الرِّسالةُ التي جاءتَ من خلالِ هذه الألسنةِ سُمِّيتَ بالنبوءةِ، أو برسالةٍ من الله، وُجِّهتْ إلى آذانِ الناسِ.

كتبَ بولسٌ عن مُعجزةٍ وصفها بأنَّها "موهبةُ الألسنةِ." ولقد قالَ بِوضوحٍ أنَّ موهبةَ الألسنةِ التي يصفها لنا مُختلفةٌ كثيراً عن الألسنةِ التي نُطِيقُ بها يومَ الخمسينِ. يقولُ بولسُ الرسولِ، "لأنَّ من يتكلمُ بِلِسَانٍ لا يُكلمُ نفسه بلِ اللهُ لأنَّ ليسَ أحدٌ يسمَعُ. ولكنَّهُ بالروحِ يتكلمُ بأسرار." (١ كورنثوس ١٤ : ٢).

عندما يُمارِسُ مُؤمنٌ موهبةَ التكلُّمِ بالألسنةِ، لا تكونُ رسالتهُ مُوجَّهَةً لآذانِ الناسِ. بل هُوَ يُكلمُ اللهُ. إِنَّهُ لا يُكلمُ الناسَ كما فعلَ المُتكلمونَ يومَ الخمسينِ، بل يُكلمُ اللهُ. ولكنَّ الألسنةَ يومَ الخمسينِ أدَّتْ نُبوَّةً أو رسالةً من الله للإنسانِ. إنَّ تلكَ الألسنةَ كانتِ إحدى العلاماتِ والآياتِ الكثيرةِ التي رافقتَ مَجيءَ الرُّوحِ القُدُسِ يومَ الخمسينِ.

هناكَ أكثرُ من يومِ خمسينِ واحدٍ مذكورٍ في سفرِ الأعمالِ. أوَّلاً، هُنَاكَ يومُ الخمسينِ في أُورشليمِ. ثُمَّ عندما ذهبَ الرُّسُلُ إلى السامرةِ، وبعضَ المرَّاتِ عندما اجتازوا الحُدودَ إلى العالمِ الأُممِيِّ غيرِ اليهوديِّ، إختَبَرُوا يومَ خمسينِ آخرَ. لاحظْ أَنَّهُ في كُلِّ مرَّةٍ حَدَثَ فيها يومٌ خمسينِ، كانتَ لَهُ علاقةٌ بالهدفِ المُعطى للكنيسةِ في المأموريةِ العظيمةِ: "ولكنَّكم ستنالونَ قُوَّةً متى حلَّ الرُّوحُ القُدُسُ عليكم؛ وتكونونَ لي شُهوداً في أُورشليمِ واليهوديةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرضِ." (أعمال ١ : ٨)

"بصماتٌ"

هناك أمرٌ آخر عليك أن تُلاحظه عندما تقرأ سفر الأعمال. لاحظ النموذج الذي ظهرت في الجيل الأول للكنيسة. لاحظ أولاً نموذج الكنيسة نفسها. قد تُسمي هذا النموذج، "البصمات المنظورة للكنيسة غير المنظورة." يتكلم اللاهوتيون عن الكنيسة المنظورة والكنيسة غير المنظورة، أو عن الكنيسة العالمية الشاملة والكنيسة المحليّة. إنَّ شَرِكَةَ المؤمنين التي أنت جزءٌ منها في مُجتمَعك، هي التعبير المحليّ المنظور عن الكنيسة الشاملة غير المنظورة التي بينها المسيح القائم من الأموات في هذا العالم.

ولكن كيف نعرف أن الكنيسة التي نحن جزءٌ منها، أي كنيستنا المحليّة، هي تعبيرٌ منظورٌ عن الكنيسة الكونيّة غير المنظورة؟ تماماً كما أن بصماتنا بإمكانها أن تُحدّد أين كنّا وماذا لمسنا، فإنَّ الكنيسة يُمكن أن يُحدّد مفهومها من خلال "البصمات". فتش عن هذه البصمات بينما تدرسُ كنيسةَ الجيل الأول. لقد كانت للكنيسة في سفر الأعمال "بصماتٌ" - أي تعابير منظورة عن الكنيسة الحقيقيّة الشاملة غير المنظورة.

"التبشير" كان بصمةً "إهام" الكنيسة التي وُلدت يومَ الخمسين. لقد فهم الرُّسلُ أنَّه كانَ عليهم أن يذهبوا إلى العالم كمرسلين وكمبشّرين. ولقد تجددت ثلاثة آلاف نفس يومَ الخمسين وحده، وآلافٌ أخرى تبعتهم في التجديد لاحقاً، عندما كرز الرُّسلُ بالإنجيل. "التعليم" كان بصمةً "سبابة" الكنيسة. نقرأ أن المؤمنين الجُدد تأبروا على التعليم والشركة وكسر الخبز والصلوات مع الرُّسل (أعمال ٢ : ٤٢).

البصمة المنظورة للإصبع الوَسْطِي للكنيسة غير المنظورة كان "الشركة". لقد آمن الرُّسلُ أن الشعب الذي كانوا يُعلِّمونه ينبغي أن يتفاعل معهم. إن الكلمة اليونانية للشركة هي Koinonia. وتعني هذه الكلمة أن يوجد إثنان في شراكة وثيقة مبنية على عهدٍ إلتزام. إنَّ العهدَ والإلتزام اللذين إمتازَ بهما الجيلُ الأولُ من المؤمنين كانا أولاً تجاه المسيح الحي القائم من الأموات، وبعد ذلك تجاه بعضهم البعض.

فمن أين أتى الرُّسلُ بهذه الفكرة أنه ينبغي أن تكون هناك شركة بين الذين يتعلّمون وبين الذين يُعلِّمونهم؟ لربّما تتذكّر من دراستنا لإنجيل يوحنا، عندما إقترب بعضهم من يسوع وسألاه أين يمكث (يوحنا ١ : ٣٧ - ٣٩). فأجاب يسوع بدعوتهم بالقول، "تعاليا وانظرا أين أمكث." ونقرأ أن تلميذي يوحنا المعمدان هذين مالا ونظرا

حيثُ كَانَ يَمْكُثُ، وَمَكُنَّا مَعَهُ، وَعَاشَا وَمَاتَا مِنْ أَجْلِهِ بِسَبَبِ مَا شَاهَدَاهُ عِنْدَمَا إلتَزَمَا بِالْحَيَاءِ وَالنَّظَرِ كَيْفَ وَأَيْنَ يَمْكُثُ. لَقَدْ عَاشَا مَعَهُ ثَلَاثَ سَنِينَ. لِهَذَا عَلَيْنَا أَنْ لَا نَتَفَاجَأَ عِنْدَمَا نَقْرَأُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ تَجَدَّدُوا يَوْمَ الْخَمْسِينَ كَانَ لَدَيْهِمْ مِيزَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ الشَّرِكَةِ مَعَ الَّذِينَ تَلْمَذُوهُمْ لِلْمَسِيحِ.

ثُمَّ الْبَصْمَةُ الْمَنْظُورَةُ لِإِصْبَعِ "الْخِنْصَرِ" كَانَ "الْعِبَادَةُ". لَقَدْ وَاطَبَ الْمُؤْمِنُونَ الْجُدُدَ عَلَى "كَسْرِ الْخُبْزِ" مَعَ الرَّسُلِ (أَعْمَالُ ٢: ٤٢). كَانَ هَذَا يَعْنِي مَائِدَةَ الْعِشَاءِ الرَّبَّانِيَّ. عِنْدَمَا أَسَّسَ يَسُوعُ مَا نُسَمِّيهِ "الْعِشَاءَ الرَّبَّانِيَّ"، وَعَلَّمَ تَلَامِيذَهُ أَنْ يَشْتَرِكُوا بِهَذِهِ الْمَائِدَةِ حَتَّى رُجُوعِهِ (١ كُورِنْثُوسَ ١١: ٢٦)، كَانَ يُعْطِي الرَّسُلَ تَعْلِيمَهُ الْوَحِيدَ عَنِ كَيْفِيَّةِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَرَادَ أَنْ تُمَارَسَهَا كَنِيسَتُهُ (لُوقَا ٢٢: ١٤ - ١٩). فَعِنْدَمَا كَانَ يَتَجَمَّعُ التَّلَامِيذُ الْأَوَائِلُ مَعًا، كَانُوا يَعْبُدُونَ بِمَحْفَظِهِمْ لِمَائِدَةِ الرَّبِّ.

وَنَقْرَأُ أَيْضًا أَنَّهُمْ وَاطَبُوا مَعَ الرَّسُلِ عَلَى "الصَّلَاةِ"، وَالَّتِي تُشَكِّلُ الْبَصْمَةَ الْمَنْظُورَةَ "لِلْخِنْصَرِ" أَوْ الْإِصْبَعِ الصَّغِيرِ لِلْكَنِيسَةِ غَيْرِ الْمَنْظُورَةِ. فَبِمَا أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْمَلَ عَمَلَ الْمَسِيحِ الْمَقَامِ إِلَّا إِذَا تَبَتَّنَا فِيهِ، فَإِذَا عَلَيْنَا أَنْ نُصَلِّيَ بِاسْتِمْرَارٍ طَالِبِينَ إِسْتِمْدَادَ الْقُوَّةِ مِنَ الْكَرَمَةِ الرُّوحِيَّةِ لِلْمَسِيحِ الْحَيِّ الْقَائِمِ مِنَ الْمَوْتِ (يُوحَنَّا ١٥: ١ - ١٦). لَقَدْ عَلَّمَ يَسُوعُ الرَّسُلَ أَنْ يَطْلُبُوا بِاسْتِمْرَارٍ، وَبِمَثَابَرَةٍ، وَأَنْ يَقْرَعُوا، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَطْلُبُ يَأْخُذُ وَيَجِدُ وَيُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ، وَيُعْطِيهِ اللَّهُ الْآبُ الرُّوحَ الْقُدُسَ (لُوقَا ١١: ٩ - ١٣؛ مَتَّى ٧: ٧ - ١١).

"أَيْنَ هُوَ؟"

يَبْدَأُ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ مَعَ أَشْخَاصٍ يَطْرَحُونَ السُّؤَالَ، "أَيْنَ هُوَ؟" (مَتَّى ٢: ٢). لَقَدْ أَخْبَرْنَا يَسُوعَ أَنَّهُ كَانَ سَبِينِي كَنِيسَتَهُ وَقُوَّاتُ الْجَحِيمِ لَنْ تَمْنَعَهُ مِنْ بُنْيَانِ كَنِيسَتِهِ (مَتَّى ١٦: ١٨). وَلَقَدْ كَتَبَ يُوحَنَّا رُؤْيَا خَارِقَةً لِلطَّبِيعَةِ عَنِ الْمَسِيحِ الْحَيِّ الْقَائِمِ مِنَ الْمَوْتِ، وَالَّذِي يَتَمَشَّى بَيْنَ كَنَائِسِهِ (رُؤْيَا ١: ١٣ - ٢: ١). إِنَّ هَذَا الرُّؤْيَا تُجِيبُ عَلَى سُؤَالِ الْمَحْجُوسِ: إِنَّهُ "فِي وَسْطِ" الْكَنَائِسِ. هَذَا هُوَ مَكَانُ وُجُودِهِ، وَهَذَا مَا يَعْمَلُهُ الْيَوْمَ. لَقَدْ بَدَأَ عَمَلَهُ الْعَجَائِبِيَّ فِي سِفْرِ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَزَالُ يُتَابَعُ هَذَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ.

كَيْفَ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَقِيسَ صِحَّةَ كَنَائِسِنَا الْمَحَلِّيَّةِ الْيَوْمَ، أَوْ أَنْ نَكْتَشِفَ عِلَامَاتِ الْحَيَاةِ فِيهَا؟ أَوَّلًا، عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنِ بَرَاهِينِ هَذِهِ الْبَصْمَاتِ. عِنْدَمَا نَرَى هَذِهِ الْبَصْمَاتِ فِي

كنائسنا، على سُلَّمٍ من واحد إلى عشرة، علينا أن نضع علامات كنيسةنا على أساس الخدمات التالية: التبشير، التعليم، الشركة، العبادة، والصلاة، وعندما نرى كيف تُشبهُ كنيسةنا كنيسة الجيل الأول التي نجدُها في سفر أعمال الرُّسُل. عندها ستكون لدينا طريقة نقيسُ بها درجة استطاعتنا القول عن كنيسةنا أنها تعبيرٌ منظور عن كنيسة المسيح الحي المقام، التي بينها في هذا العالم اليوم.

الفصل الثالث

"النماذج المنظورة للكنيسة غير المنظورة"

مباشرةً بعد ولادتها تقريباً، واجهت كنيسة العهد الجديد تهديداتٍ وتحديات. فبينما نلاحظ كيف تعامل قادة الكنيسة مع هذه المشاكل - اضطهاداً من الخارج ومشاكل من الداخل - بدأت بعض النماذج بالظهور. هذه النماذج هي بعض من هذه الأمثلة والتحذيرات التي أخبرنا بولس أن المقصود منها أن نُعلِّمنا ونُحذرنَا اليوم عندما نقرأ هذا التاريخ الكتابي (١ كورنثوس ١٠ : ١١).

مثلاً، لاحظوا نموذج العطاء الذي تأسس في زمن مبكر في تاريخ الكنيسة. نقرأ أن أولئك الذين كانوا يملكون ممتلكات، كانوا يبيعونها ويأثون بأثانها ويُعطونها للرُّسُل، لكي يتم التوزيع بحسب حاجة المؤمنين. لقد أعطوا أكثر من العشر أو من التقديم، أو حتى من التضحية؛ لقد أعطوا كل ما كان لهم.

لاحظوا أيضاً نموذج العصيان المدني المثير للإهتمام. قال يسوع، "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله." (متى ٢٢ : ٢١) فالله لن يُطالب بما هو لقيصر، ولكن هناك أوقات يُطالب فيها قيصر بما هو لله. وعندما يُطالب قيصر بما هو لله، يُعلِّمنا هذا المثل التعليمي الذي أعطاه يسوع في العهد الجديد أنه لا ينبغي أن نُعطي لقيصر ما هو لله.

لقد أمر التلاميذ من قبل يسوع بأن يُبشروا ويُعلِّموا باسم وبإنجيل يسوع المسيح. ولكن أمرهم السلطات المشروعة، دينية ومدنية، بأن لا يَأثوا على ذكر اسم المسيح ثانية (أعمال ٤ : ١٨). أول مرة حدث فيها هذا الأمر، أجاب الرُّسُل هذه السلطات بما معناه أنهم كعلمانين بسطاء، لم يكونوا مؤهلين ليحكموا ما إذا كان يحق أن يسمَعوا لله أم

لقادتهم. ثم عقدوا إجتماع صلاة. وفي المرة الثانية التي منعهم فيها السلطات من الكرازة بإسم وبإنجيل المسيح، أجابوا مباشرةً، "ينبغي أن يُطاعَ اللهُ أكثرَ من الناس" (أعمال ٥: ٢٩). هذا هو ما يُسمى بالعصيان المدني.

هناك وقتٌ يتوجَّبُ فيه على المسيحيين الذين يُريدون أن يكونوا مُخلصين لدعوتهم كأتباع للمسيح، أن يُعانُوا من عواقب طاعة المسيح والله، بدل طاعة الناس. فعبرَ عدَّة قرون وفي شتَّى أنحاء العالم اليوم، يُعاني المؤمنون من هذه العواقب الوخيمة. إنَّ عددَ المؤمنين الذين ماتوا من أجل إيمانهم منذ عام ١٩٤٠ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، هو أكثر من باقي المؤمنين الذي ماتوا من أجل إيمانهم في تاريخ الكنيسة.

نجدُ أيضاً نموذجَ التأديب الكنسيّ يظهرُ في الكنيسة. كان هناك رجلٌ إسمه حنائياً وامرأته سفيرة، اللذان باعا حقلاً. ولقد كذبا على الرُّسل حول المبلغ الذي باعا به الحقل. في هذه القصة، يُرينا بطرس موهبته الروحية في التمييز. سأل بطرس حنائياً، "لماذا كذبت على الروح القدس؟ أنت لم تكذب على إنسان. بل كذبت على الله." (أعمال ٥: ٣، ٤). وعندما تواجه كلُّ من حنائياً وسفيرة مع خطيئتهما على حدة، سقطا كلاهما ميتين.

لقد حافظَ هذا التأديب الكنسيّ القاسي على نقاوة الكنيسة، ووضع خوفَ الله المهُوب في التلاميذ. ولقد عرفَ الناسُ غيرَ المُتديين في أورشليم أنَّ إتخاذ قرار إتباع المسيح وصرورة الإنسان عضواً في الكنيسة كان أمراً في غاية الجدَّة (٥: ١١ - ١٣).

في أعمال ٦، ترون نموذجاً آخر مُهماً ينبغي تطبيقه على الكنيسة عندما تنمو. ولقد كانت الكنيسة تنمو بسرعة، مع كثيرين يعيشون معاً في ترتيب جماعي. وعندما يعيش آلاف الناس معاً، والذين يجب أن يتم إطعامهم بضع مرّات في اليوم، ينبغي أن يتوفَّر لهم نظامٌ تغذية مُعيّن (أعمال ٦: ١). فوجدَ التلاميذ أنفسهم مضطَّرين إلى تنظيم هذا البرنامج، لأنَّ الإهتمام به كان يُشتت إنتباههم عن خدمتهم لكلمة الله. فدعا الرُّسلُ جمهورَ المؤمنين إلى إجتماع وقالوا لهم: "لا يُرضي أن نترك نحنُ كلمةَ الله ونخدم مواثِد. فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فُقيمتهم على هذه الحاجة. وأمّا نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة." (٦: ٢ - ٤)

وعندما تمَّ هذا الأمر، كلَّفوا أولئك الذين تمَّ إختيارهم ليشرفوا على هذا الخدمة، وأما الرُّسُل فتفرَّغوا كُلياً للصلاة ولخدمة كلمة الله. ولقد بارك الله هذا القرار جداً، وأدى إلى إنتشار حيويٍّ للإنجيل في مدينة أورشليم. هنا نجدُ الأساس لم تسميه الكثير من الكنائس اليوم بالشمامسة. ولقد كانت مسؤوليَّة الشمامسة أن يشرفوا على إدارة أعمال الكنيسة، لكي ينصرف الأشخاص ذوي المواهب الروحية ويتفرَّغوا بحريَّة للخدمة الرعويَّة. لقد كانت هذه السابقة التي وضعتها الكنيسة بهذه المناسبة، أساساً لمبدأ كون كلِّ تلميذ له مكانٌ خاصٌّ في جسد المسيح. فجميع الذين أخذوا مسحة الروح القدس لديهم مواهب رُوحية. بعض هذه المواهب رعويَّة، وبعضها مواهب رُوحية عمليَّة.

إنَّ المواهب العمليَّة، والتي يصفها العهد الجديد بالقول: "أعواناً، أو تدابير، أو نظَّاراً"، هي مواهب رُوحية بمقدار روحانية مواهب الشخص الذي يعطى، يُعلم، ويُبشِّر. ولكنَّ كلَّ تلميذ عليه أن يقفَ في مكانه، وأن يمارس مواهبته التي أعطاه إياها الله. إنَّ الكنيسة التي تقبلُ وتُطبِّق هذا النموذج سوف تتبارك وسوف تنمو.

هل إكتشفت نموذج موهبتك الروحية؟ إن كنت قد فعلت، كرِّس نفسك كُلياً للخدمات التي تُؤهلك مواهبك الروحية لتعملها من أجل الربِّ. إنَّ هذا النموذج قد يُجنِّد تلاميذ يبرهنون عن جدارتهم في الخدمة العمليَّة، ومن ثمَّ يجتازون إلى الخدمة الروحية. إنَّ الشهيد إستفانوس والمبشِّر فيلبس هما مثلاً عن هذا الإنتقال في النموذج من حيث إنطلقا بأمانة كشمامسة، ومن ثمَّ أصبحا مبشَّرين.

نموذج آخر يظهر من سفر الأعمال هو الإستشهاد. هناك قول مأثور لمؤرِّخي الكنيسة يقول: "دماء الشهداء بذار نمو الكنيسة." لقد إستشهد إستفانوس من أجل عظة (أعمال ٧: ٥٤ - ٦٠). عندما مات إستفانوس من أجل إيمانه، كان شاؤل الطرسوسي يحمل أثواب الذين كانوا يرحمونهُ. وهكذا فإنَّ تجدُّد شاؤل، لربَّما نتج عن تأثير إستشهاد إستفانوس عليه. هذا ما قصده القول "لأنَّ دماء القديسين هو بذار الكنيسة."

نموذج آخر جميل نستطيع أن نجدهُ في سفر الأعمال، هو نموذج الشفاء. هناك تشديد كبير على الشفاء في سفر الأعمال الذي كتبه لوقا، تماماً كما كانت الحال في إنجيله. فبالنسبة لوقا، إنَّ المسيح الحيُّ المقام يعمل من خلال الرُّسُل ليكمل خدمة الشفاء.

إلتقى بطرس ويوحنا برجلٍ جالسٍ على باب الهيكل. كان هذا الرجل مُقعداً، وكان في الأربعين من عمره. وكان طوال حياته يحملُهُ أحدٌ ويضعُهُ على باب الهيكل حيثُ يجلسُ ليستعطي حاملاً كأساً لجمع المال. وبينما كان بطرس ويوحنا صاعدين إلى الهيكل، إلتفت إليه بطرس وكأنه كان سيلقي شيئاً في كأسه، فركّز الرجل إنتباهه على بطرس. فقال له بطرس عندها، "ليس لي فضة ولا ذهب. ولكن الذي لي فأياه أعطيك. بإسم يسوع المسيح الناصري قم وامش!" (أعمال ٣: ٦).

نقرأ أن هذا الرجل لم يَقم فقط ويمش، بل دخل إلى الهيكل وراح يقفز من الفرح ويمجدُ الله. قال أحد القادة الكنسيين المتكبرين مؤخراً، أن الكنيسة لم يعد بوسعها القول، "ليس لي فضة ولا ذهب." فأجاب أحد خدام الرب الأتقياء، "ولم يعد بإمكان الكنيسة أن تقول اليوم، "بإسم يسوع الناصري قم وامش!"

إن هذا الشفاء، مثل شفاء يسوع للرجل عند بركة بيت حسدا كما نجدُه موصوفاً في يوحنا ٥، منح الرسل فرصة عظيمة للكراسة بالإنجيل. لقد ارتعب رجال الدين عندما رأوا صيادي السمك الأميين هؤلاء يكرزون في الهيكل. ولكن بينما كانوا يحاولون أن يوقفوا الرسل عن التبشير، الأمر الوحيد الذي لم يستطيعوا إنكاره هو أن هؤلاء الرسل قد حققوا معجزة الشفاء هذه.

إن مصدر هذه الخدمة الشفائية هو أمرٌ أساسيٌّ. إنه موهبة الروح القدس لكنيسة العهد الجديد. لاحظوا هذا النموذج في كنيسة الجيل الأول: وحدها القوة المعطاة للكنيسة هي التي تجعلنا نرى الإنجازات التي حققتها الكنيسة، والتي لا يستطيع العالم إنكارها.

نموذج الإستشهاد

لقد إنتقل إستفانوس، الذي إنتخب كواحد من الشمامسة الأوائل، من الخدمة العملية إلى الخدمة الرعوية، وأصبح واعظاً عظيماً. وبينما كان يلقي عظته الرائعة أمام السّهدريم، أي المجلس الديني القيادي عند اليهود، وعظ إستفانوس بوضوح بقوة الروح القدس. فالوعظ ليس مجرد تحضير بعناية وإلقاء بفطنة. الوعظ هو موهبة روحية، وإن لم يُقدّم مع مسحة الروح القدس، لن يكون الوعظ الممسوح الذي نراه في هذا السفر.

لقد غطّى إستفانوس أسفارَ العهدِ القديمِ التسعة والثلاثين في عظةٍ واحدة. إنَّ هذا الرجلُ إستفانوس كانَ لديه استيعابٌ مُنقطع النظيرٍ لكلمةِ الله. بدأ إستفانوس مع إبراهيم؛ وذكرَ إسحق؛ وذكرَ يعقوب؛ وتكلّمَ عن خدمةِ يُوسُف؛ وعن خدمةِ موسى ويشوع وداودَ وسليمان. وهكذا غطّى التاريخَ العبريَّ بأسره وُصُولاً إلى السبيِ البابليِّ.

لم يكنْ هدفُ عظةِ إستفانوس تبشيريّاً، رُغمَ أنّها كانت عظةً مُثمرةً جداً كما سنرى. كانَ هدفُ عظةِ إستفانوس أن يُخبرَ القادةَ الدينيين أنّهم رفضوا نعمةَ الله ومحبةَ الله وخلاصَ الله. لقد رفضوا كُلَّ شيءٍ صالحٍ حاولَ الله أن يمنحَهُمْ إِيَّاهُ. وكانت قِمةُ رفضِهِم لبركاتِ الله رفضَهُم لربِّ إستفانوس، يسوع المسيح المسيا.

بينما كانَ إستفانوس يسرُدُ ويراجعُ التاريخَ العبريَّ أمامَ رجالِ الدِّين، شدّدَ على الثُّقطةِ التالية: أنّهم دائماً رفضوا خلاصَ الله. وكانَ التجاؤبُ معَ عظةِ إستفانوس مُتوقَّعاً:

"فصاحوا بصوتٍ عظيمٍ وسدّوا آذانهم وهجّموا عليه بنفسٍ واحدة. وأخرجوه خارجَ المدينة ورجّموه. والشّهودُ خلَعوا ثيابَهُم عندَ رجلي شابٍّ يُقالُ لَهُ شاوُل."

"فكأنوا يرجّمونَ إستفانوس وهو يدعُو ويقولُ أيّها الربُّ يسوع اقبلْ روحي. ثمَّ جثا على رُكبتيه وصرخَ بصوتٍ عظيمٍ يا ربَّ لا تُقيمَ لهم هذه الخطيئة. وإذ قالَ هذا رقد."

إنَّ موتَ إستفانوس بسببِ عِظَتِهِ، أَرانا أنّهُ كانَ مملوءاً من الرُّوحِ القدس. لقد شاهدَ رؤيا عظيمةَ اللهِ والمسيح. وماتَ بالطريقةِ التي أوحى لَهُ رَبُّهُ أن يموتَ بها، مُصلياً من أجلِ أعدائِهِ، طالباً العُفْرانَ للذين كانوا يقتلونَهُ.

عندَ رَجْمِ إستفانوس، نلتقي بأعظمِ مُرسَلٍ على الإطلاق، وأعظمِ مُؤسِّسِ كنائس، وأعظمِ راعٍ، وأعظمِ مُعلِّمٍ وكاتبٍ في تاريخِ كنيسةِ يسوع المسيح. عندما نلتقي به، نراه حاملاً ثيابَ الذين كانوا يرجّمونَ إستفانوس حتّى الموت. إنَّهُ شاوُل الطرسوس، الذي أصبحَ بولس الرسول.

عندما نتعرّفُ إلى الرجلِ الشاب الذي يدعى شاوُل الطرسوسي، سنُدركُ لماذا أثّرت عِظَةُ إستفانوس ومثالُ إستفانوس على حياةِ شاوُل بشكلٍ ديناميكي. لقد كانَ شاوُل "فريسيّاً من الفريسيين" وكانَ مُلتزماً بتعصّبٍ بالمحافظةِ على عقائدِ الإيمانِ اليهوديِّ المُستقيمة. وكانَ يكرهُ ما يُسمّى بالشيعَةِ الجديدة التي كانت تهتدُّ اليهودية.

ولكن، بالإضافة إلى تأثيره بموت إستفانوس بسبب قناعاته، بطريقة تُشبه موت المسيح، فليكونه عالماً عظيماً بالناموس اليهودي وبالعهد القديم، لا بد أن شاؤل أعجب وإقتنع بالتطبيقات المختصرة والموجزة التي قدمها إستفانوس عن التاريخ اليهودي في عظمته. فهل أنت مُستعدُّ أن تموت من أجل يسوع المسيح كما فعل إستفانوس؟ وهل لديك نعمة العُفْران لأعدائك؟ لربما ينبغي أن أوجه إليك هذا السؤال الأصعب، "هل أنت مُستعدُّ، وهل لديك النعمة لتعيش من أجل يسوع المسيح؟"

الفصل الرابع

"كيف يُصنع التلميذ؟"

كيف يُمكن بالتحديد صناعة تلميذ للمسيح؟ هناك قصة جميلة في سفر الأعمال تُجيب على هذا السؤال (أعمال ٨: ٢٦ - ٤٠). كان هناك رجلٌ اسمه فيلبس، إنتخب كواحدٍ من الشمامسة السبعة، للمُنَظَرَة على أعمال الكنيسة. ومثل إستفانوس، إجتاز فيلبس من الخدمة العمليّة إلى الخدمة الرعويّة، إذ أُعطي له موهبة التبشير، الموهبة اللازمة لصناعة التلاميذ. لقد ذهب فيلبس إلى السامرة، وكانت له خدمة تبشيرية مثمرة هناك. وخلال هذه الحملة التبشيرية المثمرة جداً، كلم الرب فيلبس من خلال ملاكٍ قائلاً له: "أريدك أن تذهب إلى البرية إلى مكانٍ اسمه غزة." (أعمال ٨: ٢٦). فحتّى ولو كان المُبشرون يذهبون عادةً إلى المُدن، لكن فيلبس أطاع وذهب إلى البرية. عندما وصل فيلبس إلى الصحراء، رأى موكباً من عربات الخيل تجتاز في البرية. فكلمه الروح القدس قائلاً، "تقدّم ورافق هذه المركبة بالذات." ونعرف من صيغة اللّغة اليونانية هنا أنّه كان هناك موكبٌ من المركبات تجتاز في البرية. فأطاع فيلبس صوت الروح القدس وتقدّم ورافق تلك المركبة بالتحديد. وهناك رأى رجلاً أثيوياً جالساً فيها. هنا أيضاً نجد الأحكام المُسبقة. فالرجل الأثيوبي كان رجلاً سياسياً ووزير المال في أثيوبيا. وكان يقرأ الإصحاح الثالث والخمسين من درج النبي إشعيا. لقد كان هذا الأثيوبي رجلاً سياسياً، وكان وزير المال في أثيوبيا. وكان يقرأ من درج إشعيا. يبدو أن هذا القائد السياسي الأثيوبي قد سافر رحلةً طويلةً من أثيوبيا إلى

أورشليم، لَأَنَّهُ كَانَ لَدَيْهِ جَوْعٌ رُوحِيٌّ. وعندما وصلَ إلى أورشليم، وجدَ تِلْكَ الدِّيَانَةَ الخَالِيَةَ من الحَبَّةِ، والتي هاجَمَهَا يَسُوعُ بِشِدَّةٍ. ولم يَلْتَقِ بِأَيَّةِ حَقِيقَةٍ رُوحِيَّةٍ في أورشليم، ولكنَّهُ رُغِمَ ذَلِكَ تَمَكَّنَ من الحُصُولِ على نُسخَةٍ من سفرِ النبي إشعياء. وكان يقرأ بصوتٍ مُرتَفِعٍ من ذلك السفر: "كُلُّنا كَعَنَمٍ ضَللنا، ملنا كُلُّ واحدٍ حسبَ طريقه، والرَبُّ وضعَ عليه إِثْمَ جميعنا." (إشعياء ٥٣: ٦).

فسأله فيلبس: "هل أنت تفهم ما تقرأ؟" فأجاب الأثيوبي، "كيف أفهم إن لم يُرشدني أحد؟" (أعمال ٨: ٣٠، ٣١). فصعد فيلبس إلى المركبة إلى جانب الأثيوبي، وفتح فيلبس فاهُ وابتدأ من سفرِ إشعياء فبشَّرهُ بإنجيلِ يسوع المسيح.

يَتَضَحُّ أَنَّ فيلبسَ إِسْتَطَاعَ بموهبته التبشيرية أن يقودَ هذا الأثيوبي إلى إتخاذِ قرار، وذلك بإخباره أن الإيمان بالمسيح يُعَبِّرُ عنهُ علانيةً بمعمودية الماء. هُنا نقرأ أن الأثيوبي قال: "هُوَذا ماء، ماذا يَمْنَعُ أن أَعْتَمِدَ؟" فأجاب فيلبس "إن كنت تُؤْمِنُ من كُلِّ قلبِكَ يُجوز."

هذا هو الشرطُ المُسَبِّقُ لمعمودية الماء: "أن تُؤْمِنَ من كُلِّ قلبِكَ." هذا ما نُسمِّيه "معمودية الإيمان." إنَّ الكنيسةَ مُنْقَسِمَةٌ حولَ طريقةِ معمودية المؤمنين. ولكنَّ القضيةَ المُهمَّةَ في المعمودية هلي ليست الأسلوب، بل معنى المعمودية. إنَّ المأموريةَ العُظمى يَنْبَغِي أن تُقرأ هكذا، "تلمذوا، إذهبوا، أكرزوا، عمِّدوا، وعلموا هؤلاء التلاميذ."

إنَّ المعموديةَ هي مثل إحتفال الزواج. عندما يطلبُ رجلٌ يدَ فتاةٍ للزواج منه، وهي تُوافقُ، تكونُ هذه لحظةً مُقدَّسةً بالنسبةِ لهُما. وعندما يتزوجان، يدعوانِ العائلةَ، والأقرباءَ والأصدقاءَ إلى إحتفالٍ هو بمثابةُ تصريحٍ علنيٍّ بالإلتزام الذي سبقَ وتمَّ بطريقةٍ فرديةً. فعندما آمنَ الأثيوبي، كانَ هذا بمثابةَ إلتزامٍ فرديٍّ صرَّحَ بهُ علانيةً عندما إعتَمَدَ.

عندما جعلَ يسوعُ المعموديةَ جزءاً لا يتجزأً من المأمورية العُظمى، جعلَ إتباعنا لهُ بطريقةٍ سرِّيةٍ أمراً مُستحيلاً. فكيفَ يعترفُ إنسانٌ ما بإيمانه بالمسيح؟ هل بالإلتزامِ إلى الكنيسة؟ هل بالتجاوبِ مع الدعوة التي يُقدِّمها المُبشِّرُ؟ من المُهمِّ أن نلاحظَ أنَّ المعموديةَ لا تُخلِّصنا، ولكنَّ المعموديةَ هي الإعتِرافُ العلنيُّ بالإيمانِ بالرَّبِّ يسوع المسيح.

قِصَّةٌ عَنْ بَطْرُسَ

قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ بِالنَّظَرِ إِلَى تَجْدِيدِ شَأْوُلِ الطَّرْسُوسِيِّ (أَعْمَالُ ٩)، عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى قِصَّةِ عَنْ بَطْرُسَ (أَعْمَالُ ١٠ وَ ١١) الَّتِي يَنْبَغِي النَّظْرُ إِلَيْهَا إِلَى جَانِبِ قِصَّةِ فِيلِبُّسَ، لِأَنَّ هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ تُخْبِرَانِنَا عَنْ كَيْفِيَّةِ صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ. فَبَيْنَمَا كَانَ بَطْرُسُ نَائِمًا عَلَى سَطْحِ مَتْرَلٍ مَا، رَأَى فِي رُؤْيَا شَرِيفًا مَرْبُوطًا مِنْ أَرْبَعِ زَوَايَاهُ، وَعَلَى هَذَا الشَّرِيفِ كَانَتْ هُنَاكَ عِدَّةٌ حَيَوَانَاتٍ، كَانَ مَمْنُوعًا عَلَى الْيَهُودِ أَكْلَهَا. فَجَاءَ صَوْتُ إِلَى بَطْرُسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَائِلًا، "قُمْ يَا بَطْرُسَ، إِذْبَحْ وَكُلْ." (أَعْمَالُ ١٠: ١٣). وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَحَابَ بَطْرُسَ، "حَاشَا! فَأَنَا لَمْ أَكُلْ أَبَدًا لَحْمًا نَجِسًا أَوْ دَنَسًا."

ثُمَّ يُقَرَعُ الْبَابُ فِي الْأَسْفَلِ. وَلَقَدْ أَخْبَرَ الرُّوحُ الْقُدُسُ بَطْرُسَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَ الرَّجَالِ الَّذِينَ يَقْرَعُونَ الْبَابَ، بَدُونَ أَنْ يَطْرَحَ آيَةً أَسْئَلَةً. لَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الرَّجَالِ خُدَّامَ قَائِدِ مِئَةِ إِسْمُهُ كَرْنِيلْيُوسَ. وَلَقَدْ شَرَحُوا لِبَطْرُسَ أَنَّ مُعَلِّمَهُمْ رَأَى رُؤْيَا بَيْنَمَا كَانَ يُصَلِّي، قِيلَ لَهُ فِيهَا أَنْ يُرْسِلَ خُدَّامَهُ إِلَى بَيْتِ سِمَعَانَ الدَّبَّاحِ، وَيَطْلُبَ رَجُلًا إِسْمُهُ بَطْرُسَ، وَهَذَا سَيَجِيءُ إِلَى بَيْتِهِ وَيُخْبِرُهُ كَلَامًا بِهِ يَخْلُصُ.

تَأَمَّلُوا بِالْأَحْكَامِ الْمُسَبَّقَةِ الَّتِي وَاجَهَهَا بَطْرُسَ. فَكَرْنِيلْيُوسَ لَمْ يَكُنْ أَمَمِيًّا فَحَسَبَ، بَلْ وَكَانَ عَدُوًّا بِطْرُسَ. كَانَ الْيَهُودُ يُشِيرُونَ إِلَى الْوَثْنِيِّينَ كَالْكَلابِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْوَعْيَ الرُّوحِيَّ عِنْدَ الْوَثْنِيِّينَ غَيْرِ الْيَهُودِيِّينَ كَانَ مَعْدُومًا. وَلَقَدْ كَانَ مَمْنُوعًا عَلَى الْيَهُودِ أَنْ يَذْهَبُوا لِمَزَارَةِ بَيْتِ شَخْصٍ غَيْرِ يَهُودِيٍّ. وَالْآنَ بَطْرُسُ يُؤَمِّرُ بَأْنَ يَكْرِزُ بِالْخُلَاصِ فِي بَيْتِ قَائِدِ مِئَةِ رُومَانِيٍّ أَمَمِيٍّ.

عِنْدَمَا ذَهَبَ بَطْرُسُ إِلَى بَيْتِ كَرْنِيلْيُوسَ، وَجَدَ أَنَّ كَرْنِيلْيُوسَ قَدْ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَأَقَارِبَهُ مَعًا لِيَسْمَعُوا كِرَاةَ بَطْرُسَ بِالْإِنْجِيلِ. وَلَقَدْ بَرَهَنَ بَطْرُسُ أَنَّ الْآنَ فَهَمَّ مَعْنَى الرُّؤْيَا. فَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ النَّجِسَةُ كَانَتْ تُشِيرُ إِلَى الْبَشَرِ النَّجِسِينَ، أَيِ الْأُمَّمِ الْوَثْنِيِّينَ. فَكَانَتْ كَلِمَاتُ بَطْرُسَ الْأُولَى هِيَ، "وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللَّهُ أَنْ لَا أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ نَجِسٌ أَوْ دَنَسٌ." (أَعْمَالُ ١٠: ٢٨).

وَبَيْنَمَا كَانَ بَطْرُسُ يَعِظُ بِالْإِنْجِيلِ، حَدَثَ شَيْءٌ شَبِيهُهُ يَوْمِ الْخَمْسِينَ. نَقَرًا: "فَبَيْنَمَا بَطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ."

(أعمال ١٠ : ٤٤). في الإصحاح التالي، عندما وصف بطرس للرسل وباقي المؤمنين كيف حلَّ الروح القدس على كل بيت كرنيليوس، أضاف الكلمات التالية، "كما علينا أيضاً في البداية." (١١ : ١٥). من الجدير بالاعتبار أن يوم الخمسين هذا كان يحدث عندما يجتاز المسيح المقام فوق حُدود الأحكام المسبقة من العالم اليهودي المتعصب إلى العالم الأممي، عندما كان بيني كنيسته.

السلسلة المثلثة الحلقات

في هذه القصص عن فيلبس و بطرس، نجد منهجيةً ثرياً كيف نصنع تلاميذ. إن هذه الأمثلة الموحاة تُظهر لنا وكأن هناك "سلسلة مثلثة الحلقات" بين الله وبين الضالين. الحلقة الأولى هي الروح القدس. الحلقة الثانية هي كلمة الله، والحلقة الثالثة هي خادم الله - صانع التلاميذ.

لكي نصنع تلميذاً، ينبغي أن يعمل الروح القدس في ومن خلال صانع التلاميذ، كي يُحضّر ذلك التلميذ على تقديم إنجيل يسوع المسيح لفردٍ ما. وينبغي أن يكون الروح القدس عاملاً أيضاً في ذلك الشخص الضال، مولداً فيه جوعاً روحياً، تماماً كما عمل مع الأثيوبي ومع قائد المئة.

إن كلمة الله، أو الإنجيل ينبغي أن يأخذ مكانه كأداةٍ يستخدمها الله في صناعة التلاميذ. عندما تُقبل بذرة كلمة الله في قلبٍ مُفعمٍ بالإيمان، يحصل الحمل الروحي (١ بطرس ١ : ٢٢، ٢٣).

ثم ينبغي على خادم الرب، أو صانع التلاميذ، أن يكون في موقعه. فصانع التلاميذ المكرس، المتوفر، والأمين، مثل فيلبس و بطرس، هو الحلقة الثالثة في السلسلة المثلثة الحلقات بين الله والضالين. من المثير والمهوب أن نعرف أن الله يختار أشخاصاً من أمثالك وأمثالي، ليكونوا خدامه ويشاركون الأخبار السارة مع الضالين.

ما هي البراهين أن الروح القدس يعمل في حياة الأشخاص الضالين الذي لم يسبق لهم أن سمعوا أو قبلوا الإنجيل؟ في هذين المثليين، يُعطينا لوقا براهين واضحة تماماً عن النشاط الروحي. قد لا تكون هذه البراهين واضحة تماماً في تعاملنا مع الأشخاص الضالين، ولكننا سنراها إن كنا نصلي ونبحث عن هكذا براهين.

سؤالٌ وَجِيهٌ يَبْغِي طَرْحَهُ لِأَنَّهُ يَقُودُنَا إِلَى حِوَارٍ حَوْلَ أَيْنَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نُشَارِكُ الإنجيل، هُوَ السُّؤالُ التَّالِي: "هل أنت مُهْتَمٌّ بِالأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ؟" أسوأ ما يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ هُنَا هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الجَوَابُ بالقول: "لا". فَإِنْ كَانَ لَدَيْكَ الإِيمَانُ وَالشَّجَاعَةُ أَنْ تَطْرَحَ هَذَا السُّؤالَ، سَوْفَ تَكْتَشِفُ أَنْ أَشْخَاصاً كَثِيرِينَ مُهْتَمُونَ بِالأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ. يَحْتَاجُ الأَشْخَاصُ الضَّالُّونَ إِلَى خَادِمٍ لِلَّهِ، يَكُونُ مُسْتَعِدًّا أَنْ "يَصْعَدَ إِلَى المَرْكَبَةِ" مَعَ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ، وَأَنْ يُسَاعِدَهُمْ عَلَى فَهْمِ مَا تُرِيدُ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنْ تَقُولَهُ، وَالَّذِي لَهُ عِلَاقَةٌ حَيَوِيَّةٌ بِخِلَاصِهِمْ.

عندما ترى براهين عن عمل الروح القدس في حياة شخص ضال، فيقودك الروح إلى مشاركة الإنجيل مع هذا الشخص الضال، فهل أنت ترغب بأن تكون الحلقة الثالثة في هذه السلسلة بين الله والشخص الضال؟ لقد اتخذت هذا الإلتزام مع الله، ظناً مني أنني لن ألتقي بالكثيرين أمثال قائد المئة والأثيوبي. ولكنني كنتُ على خطأ. فمُنذُ أَنْ إِتَّخَذْتُ هَذَا الإلتزامَ أَمَامَ اللَّهِ عام ١٩٥٧، إلتقيتُ بالعديد من الأشخاص من هذا المثل، ولقد رأيتُ الكثيرين منهم يأتون للإيمان بالمسيح ويختبرون الولادة الجديدة.

عندما كنتُ جديداً في الإيمان، كنتُ حَجُولاً وَتُعُوزِي الثِّقَّةُ بِالنَّفْسِ عندما بدأتُ أَجَوابُ مَعَ إِرْشَادِ الرُّوحِ القُدُسِ لِمُشَارَكَةِ الإنجيلِ مَعَ أَفْرَادٍ جُدُد. وعندما استوعبتُ المَفْهُومَ الَّذِي أَصِفُهُ كَسِلْسِلَةٍ مُثَلَّثَةِ الحَلَقَاتِ، تَشَجَّعْتُ كَثِيراً عندما أدركتُ وتأكّدتُ مراراً كثيرة، أَنْ أَوَّلَ حَلَقَتَيْنِ مِنْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ قَوِيَّتَانِ لدرجة، أَنْ خِلاصَ الضَّالِّينَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى ذَكَائِنَا، أَوْ قُوَّتِنَا فِي الإِقْنَاعِ، أَوْ عَلَى بَرَاعَتِنَا فِي "الترويج" للإنجيل.

نحنُ بِدُونِ شَكِّ الحَلَقَةِ الأَضْعَفِ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، وَلَكِنْ لِسَبَبٍ لَا أَفْهَمُهُ، بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ المِعْجَزَةَ بِدُونِنَا، وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ أحياناً، وَلَكِنَّهُ إِخْتَارَ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الحَلَقَةَ الأَضْعَفَ الَّتِي هِيَ الإِنْسَانُ لِكَيْ يَأْتِيَ بِالضَّالِّينَ إِلَى الإِيمَانِ وَالخِلاصِ. إِنَّ المَسِيحَ الحَيَّ المَقَامَ هُوَ كَرَمَةٌ تَبَحُّثُ عَنْ أَغْصَانِ، الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْتِجَ "الثمر" الباقِي." (يُوحَنَّا ١٥: ١٦).

هل سبق لك وشاركت الأخبار السارة مع الآخرين؟ هل أنت طائع للمأمورية العظمى التي أعطاها المسيح؟ إن لم تكن كذلك، فأنا أشجّعك أن تطلب من الله أن يريك

كيفَ يعملُ هوَ أصلاً في حياة أولئك الذين من حَوْلِكَ. ثمَّ أُطْلِبُ منه أن يَمْنَحَكَ شِجَاعَةَ بطرسَ وفيلبسَ لكي تُشَارِكَ رِسَالَةَ نِعْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ مَعَ هَؤُلاءِ النَّاسِ. بينما نُبَشِّرُ بِالْإِنْجِيلِ، سَوْفَ نُخْتَبِرُ فَرَحَ طَاعَةِ اللَّهِ وَإِسْتِخْدَامِ اللَّهِ لَنَا. فَعِنْدَمَا نُعْلِنُ أَخْبَارَ الْمَسِيحِ السَّارَّةَ لِلضَّالِّينَ، نُحَدِّثُ فِي حَيَاتِهِمْ تَغْيِيرًا أَبَدِيًّا. صَلَاتِي هِيَ أَنَّنَا بَيْنَمَا نَدْرُسُ سَفَرَ الْأَعْمَالِ هَذَا، أَنْ نَأْخُذَ قُوَّةَ مَسْحَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، لِكَيْ نَتِمَكَّنَ مِنْ مُشَارَكَةِ الْإِنْجِيلِ مِثْلَ بَطْرُسَ، فِيلِبْسَ، بُولْسَ، وَآخَرِينَ سَنَدْرُسُ عَنْهُمْ.

الفصل الخامس

"عنصرة بولس الخاصة"

"أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى اورشليم.

"وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له شاؤل شاؤل لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيّد؟ فقال الرب أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتهير يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل." (أعمال ٩ : ١ - ٦).

إن هذه الكلمات المألوفة في الإصحاح التاسع من سفر الأعمال تصف لنا بتحدّد شاؤل الطرسوسي، أو إختياره على طريق دمشق. ليس بالإمكان تفسير شخصية هذا الرجل بمعزل عن عبارة "إختيار". وكما رأينا سابقاً، عندما تلتقي به، نجد فيه عدواً لدوداً للمسيح، ولكن هذا الإختيار على طريق دمشق هو الأول بين بضعة إختبارات جعلت منه أعظم رسول (أو مرسل) في تاريخ كنيسة يسوع المسيح.

هناك عدّة أماكن في سفر الأعمال حيث سيخبرنا بولس عن إختياره الأول هذا. فأمام الجموع الغاضبة، وأمام الولاة الرومان، وأمام ملك ومملكة، وفي المحاكم الدنيّة، وفي رسائله الموحاة، يُخبرنا بولس باستمرار عن الإختيار الذي اجتازهُ.

يُخْبِرُنَا بُولُسُ عَنْ ثَلَاثَةِ إِخْتِبَارَاتٍ جَعَلْتُهُ الرُّسُولَ الْأَكْثَرَ إِثْمَارًا فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ. إِخْتِبَارُهُ الْأَوَّلُ كَانَ تَجْدِيدُهُ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ. ثُمَّ إِجْتَازَ فِي إِخْتِبَارِ الصَّحْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يُفَسِّرُهُ بِحَيَوِيَّةٍ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ (١ : ١١ - ٢ : ١٠). وَلَقَدْ إِجْتَازَ أَيْضًا فِي إِخْتِبَارِ سَمَاوِيٍّ أَثَّرَ عَلَى حَيَاتِهِ بَعْمَقٍ. وَلَقَدْ شَارَكَ هَذَا الْإِخْتِبَارَ مَعَ الْكُورِنْثُوسِيِّينَ وَمَعَنَا (٢ كُورِنْثُوسُ ١٢ : ١-٤). لَرُبَّمَا حَدَثَ هَذَا عِنْدَمَا رُجِمَ فِي لِسْتَرَةَ (١٤ : ١٩ - ٢٠).

وَلَقَدْ إِقْتَنَعَ بُولُسُ مِنْ إِخْتِبَارِهِ السَّمَاوِيٍّ أَنَّهُ لَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ حَتَّى نَمُوتَ لِكِي نَعِيشَ فِي السَّمَاءِ. فَمَوْضُوعُ رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ أَفْسُسَ هُوَ، "فِي السَّمَاوِيَّاتِ"، أَيْ أَنَّهُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَعِيشَ فِي الْمَجَالِ السَّمَاوِيٍّ بَيْنَمَا نَعِيشُ حَيَاتِنَا هُنَا عَلَى الْأَرْضِ (أَفْسُسُ ١ : ٣). لَيْسَ بِوَسْعِنَا أَنْ نَفْهَمَ هَذَا الرُّسُولَ الْغَرِيبَ بِمَعزَلٍ عَنِ إِخْتِبَارَاتِهِ.

هُنَاكَ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْإِخْتِبَارِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنِ تَجْدِيدِ هَذَا الْعَدُوِّ اللَّدُودِ لِلْمَسِيحِ. أَوَّلًا، سَمِعَ بُولُسُ هَذَا الصَّوْتِ يُنَادِيهِ بِاسْمِهِ سَائِلًا إِيَّاهُ، "لِمَاذَا تَضَطَّهْدُنِي؟" هُنَا أَيْضًا نَجِدُ أَنَّ الْمَسِيحَ الْمَقَامَ هُوَ مُتَّحِدٌ بِشَكْلِ لَا يَنْفَصِمُ عَنِ كَنِيسَتِهِ. لَقَدْ كَانَ شَاوُلُ يَضَطَّهْدُ الْكَنِيسَةَ. أَمَّا إِتِّهَامُ الْمَسِيحِ الْمَقَامَ لَهُ فَكَانَ، "لِمَاذَا تَضَطَّهْدُنِي؟" كَانَتِ الرَّسَالَةُ الْمُوَجَّهَةُ بِوَضُوحٍ مِنْ يَسُوعَ إِلَى شَاوُلَ هِيَ التَّالِيَةُ: "عِنْدَمَا تَضَطَّهْدُ هَذِهِ الْكَنِيسَةَ أَنْتَ تَضَطَّهْدُنِي أَنَا شَخْصِيًّا."

فَأَجَابَ شَاوُلُ الطَّرْسُوسِيَّ بِالسُّؤَالِ، "مَنْ أَنْتَ يَا رَبُّ؟" فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى مَعَ مَنْ يَتَكَلَّمُ، وَلَكِنَّهُ عَرَفَ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُ هُوَ رَبُّهُ، فَسَأَلَ.

فِي حَادِثَةِ تَوْبَةِ بُولُسِ الرُّسُولِ الْعَظِيمَةِ، نَجِدُ إِيضَاحًا رَائِعًا يُسَاعِدُنَا عَلَى فَهْمِ مَفْهُومِ الْوَدَاعَةِ. فَمِنْ خِلَالِ هَذَا الْقِصَّةِ نَفْهَمُ أَنَّ الْوَدَاعَةَ تَعْنِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُرَوِّضًا. فَعِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ حِصَانٌ بَرِّيٌّ، لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ أَنْ وَضَعَ رَسْغًا فِي فَمِهِ، وَلِحَامًا عَلَى رَأْسِهِ، وَسَرَجًا عَلَى ظَهْرِهِ، يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَّ تَرْوِيضُ هَذَا الْحِصَانِ. وَعِنْدَمَا يَتَمَّ تَرْوِيضُهُ، وَعِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى مَرَحَلَةٍ يَكْفُفُ مَعَهَا عَنِ مُقَاوَمَةِ الرَسْغِ وَاللِّحَامِ، بَلْ يَمْشِي بِمَوْجَبِ تَوْجِيهَاتِهِمَا، لَا يُصْبِحُ هَذَا الْحِصَانُ ضَعِيفًا، بَلْ وَدِيعًا. فَالْحَيَوَانُ الْمُرَوِّضُ هُوَ حَيَوَانٌ وَدِيعٌ.

عِنْدَمَا قَالَ الْمَسِيحُ الْمَقَامَ لِشَاوُلِ الطَّرْسُوسِيَّ: "صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ"، قَصَدَ بِقَوْلِهِ هَذَا، "لِمَاذَا تُقَاوِمُ الرَسْغَ؟ فَسَوْفَ يُمَزَّقُ فَمُكَ. إِنَّ هَذَا قَاسٍ جَدًّا عَلَيْكَ." تُشِيرُ

هذه الصورة المجازية إلى أنه قبل إختيار طريق دمشق، كان الروح القدس يتعامل مع شاوُل الطرسوسي، مُتكلِّماً إليه من خلال شهادة إستفانوس والمؤمنين الآخرين الذي إضطهدهم شاوُل. ويُظهر لنا شاوُل أنه قبل وضع الرِّسغ والرِّسن وأصبحَ وديعاً، مُجرِّد سؤاله، "يا رب، ماذا تُريد منِّي أن أفعل؟" (العدد ٦).

عندما كتب بُولُس هذه الرسائل، أخبرنا بُولُس أكثر من كلِّ الآخرين ما عمله اللهُ لمنحنا الخلاص من خلال المسيح. ولكن، عندما إلتقى بيسوع، لم يكن سؤاله، "ماذا ستعمل من أجلي يا رب؟" بل كان سؤاله، "يا رب، ماذا تُريد منِّي أن أفعل من أجلك؟" عندما تجددَ شاوُل الطرسوسي على طريق دمشق، تعيَّرت نظرة بُولُس للحياة ب شكلٍ دراماتيكيٍّ. ومن بين التغييرات العديدة، غيَّرَ شاوُل إسمه. كان إسم بُولُس العبري هو شاوُل، الذي يعني "القادر" أو "العظيم". عندما تجددَ، قرَّرَ أن يستخدمَ الإسم الروماني "بُولُس" الذي يعني "الصغير" أو "الحقير" أو الصَّفر أو اللاشيء.

لربَّما كان الدافع وراء هذا الأمر أنه كلفَ بالوصول إلى المؤمنين من غير اليهود عبرَ الأمبراطورية الرومانية. وبما أنه وُلِدَ كمواطنٍ رومانيٍّ وأرادَ أن يكونَ للكُلِّ كلَّ شيءٍ، لربَّما كان قراره بإستخدامِ إسمه الروماني ستراتيجياً. ولكن ليس بإمكاننا تجاهل كون إسم شاوُل يعني الجبَّار أو العظيم، وبُولُس يعني "الصغير أو اللاأحد". عندما تجددَ شاوُل وأصبحَ بُولُس، إختبرَ بوضوح ما تعنيه عبارة "مسكين بالروح". (متى ٥ : ٣).

فيما بعد، كتب بُولُس للفيليبين، "كانت لديَّ أمورٌ أسعى وراءها، لأنَّها كانت تعني لي الكثير. ولكن عندما إلتقيتُ بيسوع، أصبحت هذه الأمور لا تعني شيئاً بالنسبة لي. بالحقيقة، إعتبرتُ هذه الأمور نفايةً بالمقارنة مع الأمور التي لم تكن تعني لي شيئاً قبل أن ألتقيَ بالمسيح على طريق دمشق - مثل أن أعرفه وأكتشفَ ماذا يُريد منِّي أن أفعل - هذه الأمور الجديدة أصبحت شغلي الشاغل". (فيلبي ٣ : ١ - ١١).

المهمُّ فيما يتعلَّق بالإختيار هو ليس تفاصيل إختيارنا، بل نتائج إختيارنا. فالإختيار ليس غايةً بحدِّ ذاتها، بل وسيلةٌ تُؤدِّي إلى غاية. الإختيار هو ببساطة بابٌ نجتازهُ لنصبحَ خُدَّاماً أفضل للمسيح. في سفر الأعمال، يُخبرُ بُولُس بتفاصيل إختياره على طريق دمشق بضع مرَّاتٍ. وما يكتبه للفيليبين يُشدِّد على نتائج إختياره على طريق دمشق.

بعضُ المؤمنين هُم كما أُسميهم أنا، مُؤمنون تَفْعِيُونَ. فالمنفعة هي شيءٌ نَسْتَحِدُّهُ. والمؤمنون قد يَسْتَحِدُّونَ اللهَ كما نَسْتَحِدُّمُ نَحْنُ أحياناً الماء، الشمعة، الكهرباء، الدراجة، أو الباص في المدينة. فمن حيث لا ندري، قد نُصْبِحُ أتباعاً للمسيح لأننا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ سوف يَجِدُ حَلاً لمشاكلنا. بالطبع، عندما نتبع المسيح، سوف يَجِدُ حُلُولاً لمشاكلنا الأكثر صُعُوبَةً. ولكن دَعُونِي أَسْأَلُكُمْ سُؤَالاً: إِذ تَتَّبَعُونَ المسيح، هل أنتم تَسْأَلُونَهُ ماذا سيفعل من أجلكم، أم أنكم مثل بُولُس تَسْأَلُونَ رَبَّكُمْ وَمُخَلِّصَكُمْ ماذا بإمكانكم أن تعملوا من أجله؟

بعدَ قِصَّةِ تجديد بُولُس، نقرأ عمَّا يُمكن أن نُسميه "متابعة" تجديده. ذهبَ الربُّ إلى تلميذٍ اسمه حنانياً، وطلبَ منه أن يُعمِّدَ شاوُل الطرسوسي. لقد دَبَّ الرَّعْبُ في قلبِ هذا الرجلِ الشيخ عندما سمعَ إسمَ شاوُل الطرسوسي. فأجاب، "يا رَبِّ، قد سمعتُ من كثيرين عن هذا الرجلِ كم من الشرورِ فعلَ بِقَدَيْسِيك في أُورشليم. وههنا له سُلطانٌ من قِبَلِ رؤساء الكهنة أن يوثقَ جميعَ الذي يدعونَ بِاسْمِكَ. فقالَ له الربُّ اذهب. لأنَّ هذا لي إناءً مُختارٌ ليَحْمِلَ إسمي أمامَ أُمَّمٍ ومُلُوكٍ وبني إسرائيل." (أعمال ٩: ١٣ - ١٥).

إذا تكلّمنا مجازياً نقول أن اللهَ فتحَ دَرَجاً وأظهرَ لحنانياً خُطَّتَهُ لِحَيَاةِ شاوُل الطرسوسي. لاحظوا أن اللهَ لم يفعلَ هذا لشاوُل. بل كانَ كُلُّ ما قاله له، "قم واذهب إلى دمشق، وعندما تصلُ إلى هناك، أقولُ لكَ ماذا أريدُ منك أن تفعل." (العدد ٦) إنَّ التطبيقَ التبعديّ لنا هنا، هو أن اللهَ يستطيعُ أن يُظهرَ لنا كاملَ خُطَّتِهِ لِحَيَاتِنَا إذا شاء. ولكنّه عادةً لا يفعلُ هذا. بل يُظهرُ مشيئته لنا كما فعلَ لشاوُل، يوماً بعدَ الآخر وخطّةً بعدَ الأخرى.

من أجملِ كلماتِ سفرِ أعمالِ الرُّسُلِ هي الكلمات التي قالها حنانياً عندما ذهبَ إلى المتزل حيثُ كانَ شاوُل الطرسوسي ينتظرُه. فسرعانَ ما فهمَ حنانياً أن هذا العدو اللدود للكنيسة قد تجددَ، قالَ له، "أيها الأخ شاوُل." ما نراه هنا هو ما تتمحورُ حوله كنيسةُ يسوع المسيح: نعمةُ الله التي تُغيّرُ حياةَ الناس!

إختبار بُولُس في الصحراء

عندما نقرأ قصةَ إختبارِ تجديد بُولُس، نواجهُ صُعُوبَةً في الترتيبِ الزماني. نأخذُ إنطباعاً أَنَّهُ سرعانَ ما تجددَ بُولُس، حتّى بدأً بالوعظِ بشجاعةٍ بِإِسْمِ يسوع المسيح في دمشق وأورشليم. ولكن، علينا أن ندخلَ فترةً إنتقاليّةً كبيرةً بينَ تجديد بُولُس وبينَ خدمته

في الوعظ. علينا أن نأخذ بالحسبان ما قاله بولس للغلاطيين عن ذهابه إلى العريية، بعد أن تحدّد (غلاطية ١: ١١ - ٢١).

يختلفُ المفسِّرون حولَ طولِ المدَّة التي قضاها بولس في العريية، ولكنَّ معظمهم يَنفِقُ أَنَّهُ يَقُولُ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ عَلَى الْأَقْلَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سِنَوَاتٍ. يَقُولُ بُولْسُ أَنَّ الْمَسِيحَ الْمَقَامَ قَضَى مَعَهُ هُنَاكَ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ، وَعَلَّمَهُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي دَوَّنَهَا فِي رِسَائِلِهِ، وَالَّتِي تُشَكِّلُ نِصْفَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَبْدُو أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ، وَالْأَرْجَحُ إِلَى مَدِينَتِهِ طَرَسُوسَ.

يُخْبِرُنَا بُولْسُ أَنَّهُ بَعْدَ تَجْدِيدِهِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا، صَعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَالتَقَى بِبَاقِي الرُّسُلِ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى (غلاطية ٢: ١ - ١٠). يَبْدُو أَنَّ بُولْسَ أَقْنَعَهُمْ أَنَّهُ قَضَى مَعَ يَسُوعَ مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، تَمَامًا كَمَا كَانَتْ الْحَالُ مَعَهُمْ سَابِقًا. لَا بُدَّ أَنَّهُ أَخْبَرَ الرُّسُلَ أُمُورًا عَنِ يَسُوعَ، وَحَدَّهُ الَّذِي قَضَى وَقْتًا مَعَ يَسُوعَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَهَا. عِنْدَهَا فَقَطْ قَرَّرُوا أَنَّهُ بِإِمْكَانِ بُولْسِ أَنْ يَكْرِزَ بِالْإِنْجِيلِ لِلْعَالَمِ الْأُمِّيِّ، وَأَمَّا بَاقِي الرُّسُلِ فَكْرَزُوا لِلْيَهُودِ.

لَوْ تَوَقَّفَ الْأَمْرُ عَلَيَّ، لَمَا كُنْتُ تَصَرَّفْتُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ. لَكُنْتُ أَرْسَلْتُ بُولْسَ، مُعَلِّمَ النَّامُوسِ وَالْعَلَامَةَ الْيَهُودِيَّ، إِلَى الْيَهُودِ، وَلَكُنْتُ أَرْسَلْتُ صَيَّادِي السَّمَاكِ أَمْثَالَ بَطْرُسَ، يَعْقُوبَ، وَيُوحَنَّا، إِلَى الْأُمَّمِ الْبَرَابِرَةِ. وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَعْمَلُ الْأُمُورَ عَلَى طَرِيقَتِنَا. بَلْ يَبْدُو أَنَّهُ يُسَرُّ بِاسْتِخْدَامِ أَشْخَاصٍ عَادِيَّيْنِ لِيَعْمَلَ أُمُورًا غَيْرَ إِعْتِيَادِيَّةٍ. لَقَدْ أَرْسَلْتُ مُعَلِّمَ النَّامُوسِ الْمُتَجَدِّدِ إِلَى الْأُمَّمِ الْبَرَابِرَةِ، وَأَرْسَلْتُ الرُّسُلَ الْأُمِّيِّينَ إِلَى مُعَلِّمِي النَّامُوسِ وَعُلَمَاءِ الدِّينِ.

النصف الأول من سفر الأعمال تقريباً يُقدِّمُ بَطْرُسَ كَالرُّسُولِ الْقَائِدِ، وَبَاقِي السَّفَرِ يُبْرِزُ حَيَاةَ وَخِدْمَةَ بُولْسِ الرُّسُولِ. وَبَيْنَمَا تَقْرَأُونَ قِصَّةَ تَجْدِيدِ بُولْسِ فِي هَذَا السَّفَرِ التَّارِيخِيِّ، لَا تَنْسُوا أَنْ تَقْفِرُوا لِتَقْرَأُوا مَا يَقُولُهُ عَنِ إِخْتِبَارِهِ فِي الصَّحْرَاءِ، فِي الْإِصْحَاحَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ. عِنْدَمَا يُصْرِّحُ بُولْسُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ فِي غَلَاطِيَّةِ، يَقُودُنَا إِلَى إِقْتِنَاعِ رَاسِيخٍ بِصَحَّتِهَا عِنْدَمَا يَقُولُ، "أَمَامَ اللَّهِ أَنَا لَا أَكْذِبُ."

عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا قَرَارًا حِيَالِ بُولْسِ. فِيمَا أَنْ يَكُونَ بُولْسُ كَاذِبًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا. يَقُولُ أَنَّهُ نَعِبَ وَأَثَمَرَ أَكْثَرَ مِنْ بَاقِي الرُّسُلِ (١ كورنثوس ١٥: ٩، ١٠). إِنَّ الْحَقِيقَةَ الَّتِي لَا تُنْكَرُ هِيَ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ إِثْمَارًا مِنْ بَاقِي الرُّسُلِ. فَلَقَدْ قَامَ بِكِتَابَةِ نِصْفِ أَسْفَارِ الْعَهْدِ

الجددي تقريباً، والتي سنقومُ بدرسيها عندما ننتهي من دراسة سفر الأعمال. إحتفظوا بحكمكم على بولس إلى أن تكونوا قد قرأتم وتاملتم بمحتوى رسائله الموحاة بعمق.

لقد بدأتُ أقرأ الكتاب المقدس عام ١٩٤٩، وذلك بقراءة النصف الثاني من سفر الأعمال، إستعداداً لدراسة رسائل بولس الموحى بها من الله. ولقد أصبحتُ مقتنعة بعمق أن وحده المسيح المقام كان قادراً أن يوحى لرجل الله المميز هذا، الحقيقة السامية التي أخذتُ أكتشفها عبر عشرات السنين في رسائل بولس الموحى بها.

لقاء برنابا

يركز لوقا قبل كل شيء على خدمة كل من بطرس وبولس، بينما يكتب تاريخه للجيل الأول للكنيسة. ولكن، بالإضافة إلى هذين القائدين العظيمين، هناك عدّة أشخاص آخرين يعتقد أنه علينا أن نعرف عنهم، لكي نُقدّر بدايات كنيسة المسيح الحي المقام. أحدهم هو رجل اسمه برنابا، ويعني اسمه "ابن التشجيع." (أعمال ٤ : ٣٦).

واقْتداءً بما فعله يسوع مع الكثيرين، غيّر الرُّسُلُ اسمه من يوسف إلى برنابا، الأمر الذي يُعبّر عن نموذج موهبته الروحية وخدمته. وسوف نجدّه دائماً يعيش على مستوى هذا الاسم الجديد الذي أُعطي له، داعماً الآخرين بأمانة، ومُشجعاً إياهم ليعملوا ما دعاهم إليه الرب يسوع المسيح. لقد كان برنابا هو الشخص الذي شجّع بولس للإنتلاق إل خدمته الإرسالية العجيبة.

نقرأ أنه كان يعمل في الكنيسة في أنطاكيا، متلميذاً الكثير من المؤمنين الجدد. ولقد إختبرت الكنيسة نمواً كبيراً في عدد المؤمنين لأنّ الروح القدس كان يعمل هناك بقوة. لقد كان هناك عدّة مهتدين جدد، ممّا جعل برنابا يدرك أنّ الكنيسة هناك كانت تحتاج إلى مواهب التعليم الفريدة وغير الإعتيادية التي كانت يتحلّى بها معلّم الناموس المتجدد، شاؤل الطرسوسي. لهذا ذهب برنابا إلى طرسوس وفتش إلى أن وجد بولس، ومن ثمّ أتى به إلى أنطاكيا وأقامه على خدمة التعليم هناك. نقرأ أنّ برنابا توسّط أمام باقي المؤمنين، من أجل هذا الذي كان عدوّ الكنيسة سابقاً، ولكنّ المؤمنين كانوا شديدي الحذر من مجيء بولس إلى أنطاكيا (أعمال ٩ : ٢٦).

علينا أن نتذكر أنه لما كان هناك من يُسمى بالرسول بطرس لو لم يكن هناك شخص يُدعى أندراوس. فأندراوس هو الذي أتى بأخيه سيمعان وعرفه إلى يسوع. ونرى أندراوس مُجدداً وهو يعمل عملاً فردياً، آتياً بأشخاص إلى المسيح، خاصةً عندما اكتشف الصبي الصغير، الذي قدّم زاده المؤلف من خمسة أرغفة وسمكتين، التي أطعمت آلاف الجائعين. بنفس الطريقة، بإمكاننا القول أن بولس ما كان ليتمتع بخدمته العظيمة لولا ابن التشجيع هذا، الذي هو برنابا.

لقد أرسل كل من بولس وبرنابا من قبل كنيسة أنطاكيا ليشرعا معاً برحلاتهما الإرسالية المثمرة (أعمال ١٣ : ١-٣). ولكن، بينما كانا على وشك الإبحار في رحلة تبشيرية ثانية، وقع بينهما خلافٌ حادّ، أدّى إلى إنهاء عملهما معاً كفريق من تلميذين مرتبطين معاً تحت نير المسيح. فلقد أراد برنابا أن يأخذ معه ابن أخته يوحنا مرقس، إلى تلك الرحلة الإرسالية الثانية. لقد سبق ورافقهما يوحنا مرقس في رحلتهما الإرسالية الأولى، ولكنّه تركهما عندما بدأ الإضطهاد. لهذا عارض بولس أخذ يوحنا مرقس ثانيةً.

لقد كان الخلاف بين بولس وبرنابا حاداً لدرجة أنّهما افترقا عن بعضهما البعض. فأخذ بولس سيلاً وسافر في اتجاهٍ مُعيّن؛ أمّا برنابا فأخذ يوحنا مرقس وسافر في اتجاهٍ آخر. نعرف من تاريخ الكنيسة أنّه بمعنى ما، كانت أصعب المشاكل التي واجهتها المرسلون، موجهة من مرسلين آخرين. فإبليس يعرف أننا لن نتمكن من ربح العالم إذا خسّرنا بعضنا بعضاً. لهذا وضع يسوع هذا التشديد الكبير على العمل على تحسين علاقتنا مع أحيانا (متى ٥ : ٢٣، ٢٤؛ ١٨ : ١٥-١٧).

على أية حال، من المهم أن نقرأ بعض كلمات بولس الرسول الأخيرة التي كتبها من زناينة في سجن Mamertine المرعب في روما. إنّها موجهة إلى تيموثاوس: "أحضِر معك يوحنا مرقس. أنّه نافع للخدمة." ما هي القصة الكامنة وراء هذا الشاب، ليصبح "نافعاً للخدمة؟" يعتقد المفسرون أن الجواب على هذا السؤال هو أن برنابا تابع بخدمته التشجيع ليوحنا مرقس، أمّا بولس فقد الأمل منه. وهكذا أصبح يوحنا مرقس الشخص الذي كتب الإنجيل الثاني، لأن برنابا كان "ابن التشجيع."

دائماً كان يُوجدُ في الكنيسة، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، أشخاصٌ كثيرون يحتاجونَ من يُشجِّعُهُم ويخدمُهُم على صعيدِ فَرْدِيٍّ. هل أنتَ راغِبٌ بأن تكونَ مُتوفِّراً لمُساعدَةِ هكذا شخصٍ؟ إن كنتَ مُؤمِناً جديداً، فأنتَ تحتاجُ إلى برنابا. وإن كنتَ مُؤمِناً ناضجاً، عليكَ أن تُشجِّعَ وترعى شخصاً مثل يوحنا مرقس. فكما تتوفرُ لكَ الفُرصة، وكما يرشدُكَ الرُّوحُ القُدسُ، دائماً إتبعَ مثالَ برنابا، وشجِّعَ أولئكَ الذين يُحيطونَ بكَ - خاصةً المُؤمنينَ الجُدُدَ - ليكوُنوا كما يريدُهُم ربُّهم ومُخلِّصُهُم أن يكوُنوا عليه.

الفصلُ السادسُ

"فماذج يوم الخمسين تُؤسسُ الكنيسة"

بحسبِ لوقا، كانتَ هناكَ نُقاطُ تحوُّلٍ حاسِمةٌ في إنتِشارِ الإنجيل. نقرأُ عن إحدى نُقاطِ التحوُّلِ هذه في الإصحاح ١٦ من سفرِ الأعمال. فعندما كان بولسُ مأخوذاً في رحلتهِ الإرساليَّةِ الثانيةِ، رَغِبَ بأن يذهبَ إلى آسيا ليُبشِّرَ بالإنجيل. هنا نقرأُ أنَّ الرُّوحَ القُدسَ تدخَّلَ، فمنعَهُ الرُّوحُ هُوَ ورفاقَهُ من الكِرَازَةِ في آسيا. وظهَرتَ لبولسُ رؤيا في الليل، رجلٌ مكدونيٌّ قائمٌ يطلبُ إليه ويقولُ، "أعبرِ إلينا وأعنا."

بعدَ أن رأى بولسُ الرؤيا، نعرفُ أنَّ لوقا إنضمَّ إلى الفريقِ الإرساليِّ عندما نقرأ: "فلَمَّا رأى الرؤيا طلبنا أن نخرجَ إلى مكدونيَّةٍ مُتَحَقِّقينَ أنَّ الرَّبَّ قد دَعانا لِنبشِّرَهُم." (أعمال ١٦ : ١٠). فعلى الرُّغمِ من أنَّ بولسَ ورفاقَهُ سوفَ يُسافرونَ إلى آسيا قريباً، كانَ من المُهمِّ جداً بالنسبةِ للرُّوحِ القُدسِ أن يجعلَهُم يدخلونَ مكدونيا قبلَ أن يُبشِّرُوا آسيا.

لقد قامَ بولسُ في نُقطةِ التحوُّلِ هذه بخدمةِ الغلاطيِّين. فعندما نتأمَّلُ بما كتبهُ بولسُ للغلاطيِّين عن المشاكلِ الصحيَّةِ التي عانى منها في تلكَ المرحلة، بإمكاننا أن نفترضَ أنَّ الرُّوحَ القُدسَ إستخدَمَ مُشكِلةَ بولسِ الصحيَّةِ ليمنعَهُ من دُخولِ آسيا (غلاطية ٤ : ١٣ - ١٥). إنَّ هذا الإفتراضَ معقولٌ جداً، لأنَّ طبيبَهُ المُحبوبَ لوقا إنضمَّ إليه في هذه المرحلة.

أولَّ مدينةٍ وصلوا إليها عندَ دُخولِهِم مكدونيَّة، هي فيليبِّي. قد نظنُّ أنَّه بما أنَّ بولسَ رأى في رؤياه رجلاً، سرعانَ ما سيصلُ إلى مكدونية، حتَّى يجدَ حوالي مائتي رجلٍ

ينتظرونه ليسمعوا الإنجيل. لقد وجد بولس مجموعةً صغيرةً من النساء بقرب نهر، حيثُ كُنَّ يجتمعن للصلاة. بدأ بولس بما أعطاه إياه الربُّ فركزَ بالإنجيل لتلك النساء اليهوديات. "وكان هناك امرأةٌ تُسمى ليديا، وكانت بائعةً أرجوان." (١٤) لربّما كانت حياطةً للعائلاتِ الملكيّة. نقرأُ أنّه عندما فتحَ بولس كلمةَ الله، "فتحَ الربُّ قلبها." (١٤) ثمَّ فتحت بيتها لبولس ولفريقه الإرسالي. فأصبحَ بيتُ ليديا أولَ كنيسةٍ في أوروبا. لقد كانت هناك الآلافُ من مباني الكنائس الرائعة في أوروبا، ولا تزال، ولكن في السماء، سيكونُ بإمكانِ هذه الحياطة اليهوديّة البسيطة القولُ أنّ بيتها كان أولَ كنيسةٍ في أوروبا.

وهناك في مدينة فيلبي، تمَّ إعتقالُ بولس وسيلا. وجلدوا بالسياط وألقوا في السجن (٢٢ - ٢٤). رُغمَ هذا العقاب، نقرأُ أنّه في مُنتصفِ تلكَ الليلة، كان بولس وسيلا يُصليان ويُسبحان الربَّ وسمِعَهُمَا السُّجَنَاءُ. وفجأةً في مُنتصفِ الليل حدثت زلزلةٌ عجيبةٌ وتحطّمت فُيُود السُّجَنَاءِ وفتحت أبوابَ السجن. لقد كانت هذه زلزلةٌ غريبةٌ بالفعل.

عندما استيقظَ حارسُ السجنِ في مُنتصفِ الليل، ورأى أبوابَ السجنِ مفتوحةً ظنَّ أنّ السُّجَنَاءَ قد هربوا جميعاً، فاستلَّ سيفه عازماً أن يقتلَ نفسه، ولكن بولس قالَ له، "إياك أن تُؤذي نفسك؛ فنحنُ جميعاً هنا." عندها طرحَ السُّجَنَاءُ سُؤالَهُ العظيمَ قائلاً، "ماذا ينبغي عليّ أن أفعلَ لكي أخلصَ؟" فأعطاه بولس جوابه العظيم: "آمن بالربِّ يسوع المسيح، فتخلص أنت وأهل بيتك."

ثمَّ نقرأُ، "وكلّمَاهُ وجميعَ من في بيته بكلمةِ الربِّ. فأخذَهُمَا في تلكَ الساعةِ من الليل وغسلَهُمَا من الجراحاتِ واعتمَدَ في الحَالِ هوَ والذينَ لَهُ أَجْمَعُونَ. ولَمَّا أَصْعَدَهُمَا إِلَى بَيْتِهِ قَدَّمَ لَهُمَا مائدةً وهلَّلَ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ إِذْ كَانَ قَدْ آمَنَ بِاللَّهِ." (٢٨ - ٣٤)

لم يسبقَ أن قُدِّمَ طريقُ الخلاصِ بشكلٍ أوضحٍ من الكلماتِ التالية: "آمن بالربِّ يسوع فتخلص." لقد إختبرتُ الخلاصَ وأصبحتُ تلميذاً ليسوع المسيح عام ١٩٤٩، في أولِ مرّةٍ سمعتُ وعظاً عن هذه الكلمات. اعتقدُ أنّ بولس إلتقى عندها بالرجل الذي رآه في الرؤيا ووجهه للذهابِ إلى مكدونية.

بعدَ إيمانِ سحّانِ فيلبي، أرسلَ الولاةُ أمراً بإطلاقِ سراحِ بولس وجعله يتركُ المدينة (٣٥، ٣٦). ولكن بولس رفضَ المغادرةَ بتلكَ الطريقةِ وفي ذلكَ الظرف. لقد تمَّ ضربُ

بُولُس وهو مُوَاطِنٌ روماني، بدونِ مُحَاكَمَة. لهذا طلبَ بُولُس أن يَأْتِيَ الوِلاةُ بأنفسِهِم ويُرافِقوهُما إلى خارجِ المدينة. وهكذا تركَ بُولُس فيلبِّي طوعاً واختياراً.

لقد رأى بُولُسُ المسيحَ يَقْلِبُ المدينةَ رأساً على عقب. ولقد تأسَّست الكنيسة التي ستَكُونُ المفضَّلةَ عندهُ في مدينةِ فيلبِّي. إنَّ هذه الكنيسة أصبحت مركزَ الدعم الذي مَكَّنَ بُولُس من الوُصُولِ إلى تأسيسِ كنائسٍ في مُدُنٍ مثل كورنثوس، أفسُس، وتسالونيكِي. لقد استَخدمَ بُولُس أمانةَ الفيلبِّيِّينَ نموذجاً ومِثَلاً للكنائسِ الأخرى (٢ كورنثوس ٨، ٩). ولقد مارسَ بُولُس مهنتَهُ كصانعِ خِيام، بدلَ أن يَقْبَلَ دَعماً من المؤمنين الذين لم يَكُونُوا ناضِجينَ في دوافِعِهِم، والذين شكَّكوا بحقِّ بُولُس بأن يدعوَ نفسه رَسولاً، ولم يَكُونُوا جديرينَ بأن يُدعوا شُرَكَاءَهُ في خِدْمَتِهِ.

بينما تقرأ قصةَ بُولُس في مدينةِ فيلبِّي، لا تنسَ الكلمات العظيمة التالية: "آمنَ بالرَّبِّ يسوعَ المسيح، فتخلَّصَ أنتَ وأهلُ بيتِكَ." لاحظْ أنَّ هذه الكلمات تضعُ أمامنا التحديَّ بأن نُؤْمِنَ بالرَّبِّ يسوعَ المسيح. فيسوعُ يعني أن نُؤْمِنَ أَنَّهُ مُخَلَّصُنَا. والمسيحُ يعني أن نُؤْمِنَ أَنَّ مُخَلَّصَنَا هُوَ المَسِيَّا. والرَّبُّ يعني أَنَّنَا جعلنا من مُخَلَّصِنَا المَسِيَّا، رباً وسَيِّداً. هل نُؤْمِنُ أَنَّ شَخْصِيًّا أَن يسوعَ هُوَ مُخَلَّصُكَ ومسيحُكَ وربُّكَ؟ إن لم تكن قد اتَّخذتَ هكذا خُطوةً من قَبْلِ، "آمنَ بالرَّبِّ يسوعَ المسيح، فتخلَّصَ - أنتَ وأهلُ بيتِكَ."

الفصل السابع

"وعظُ بُولُس"

عندما ذهبَ بُولُس إلى مدينةِ أثينا، احتدَّت رُوحُهُ فيه إذ رأى الشعبَ في كُلِّ مكانٍ يَعْبُدُونَ الأصنامَ (أعمال ١٧ : ١٦). "قالَ أحدُ المُؤرِّخين أَنَّهُ كانَ من الأسهلِ إيجادَ إلهٍ من إيجادِ رجلٍ في مدينةِ أثينا التي زارها بُولُس. وذلكَ بسببِ كثرةِ عبادَةِ الأصنامِ فيها الذي أَقلَّقتَ بُولُسَ جداً، لأنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ هذه الأصنامَ ليستَ آلهة، وأنَّ هؤلاءِ الناسَ لن يَعْرِفُوا اللهَ الحقيقيَّ من خلالِ هذه الأوثان.

لقد شكَّلَ هُمُ أساسِيٌّ نموذجَ ستراتيجيَّتِهِ الإرساليَّةِ في المُدُنِ التي بَشَّرَها. فلقد ذهبَ أولاً إلى الجَمْع، وأعلنَ لليهود أن: "يسوعُ هُوَ المسيح." كانَ بُولُس معلِّماً للناموس،

وكانت لديه وثائق تُبرهنُ هذا. لهذا، كان يذهبُ إلى المجمع ليحصلَ على إذنٍ بالكلام والتعليم. ثمَّ كانَ يَعِظُ وَيُعَلِّمُ الإنجيلَ لليهود. كانت هذه دائماً استراتيجية بولس، "لليهودي أولاً، ثمَّ لليوناني". (رُومِية ١ : ١٦). فحتَّى ولو أنَّ بولس مدعوٌ لِيخدمَ للعالم غير اليهودي، إلا أنَّه كانَ مُثَقِّلاً جداً تجاهَ الشعبِ اليهودي، ولذلك دائماً كانَ يذهبُ أولاً لتبشيرِ اليهود. بإمكاننا أن نفهمَ لماذا ذهبَ دائماً ليكرزَ لليهود أولاً، عندما نقرأ وصفهَ للثقل الذي كانَ على قلبه تجاهَ اليهود في رسالتهِ إلى أهلِ رُومِية (٩ : ١-٥).

الجزءُ الثاني من استراتيجية بولس، هو أنَّه كانَ يذهبُ إلى السوقِ ويكرزُ بالإنجيلِ حيثُ كانَ الناسُ يتجمعونَ بأعدادٍ كبيرة. نقرأ، "وأما الأثينيونَ أجمعونَ والعُرباءُ المستوطنون فلا يتفرغونَ لشيءٍ آخر إلا لأن يتكلموا أو يسمَعوا شيئاً حديثاً." (أعمال ١٧ : ٢١) لقد كانَ اليونانيونَ متفلسفينَ، وأحبوا المحاججةَ في مواضيع فكرية عميقة، خاصةً الجديدة منها. وهكذا كانَ بولس يذهبُ إلى السوقِ كُلِّ يومٍ، ويُشاركُ الإنجيلَ مع أيِّ شخصٍ يسمعهُ.

بعدُ آخر في استراتيجية بولس، كانَ أن يُقدِّمَ الإنجيلَ للقادة ذوي التأثير في المجتمع. فيما أنَّ بولس كانَ أحدَ أعظمِ مُفكرِ عصره، كانَ فعلاً جداً في الوصولِ إلى هؤلاء القادة. وبينما كانَ يُطبِّقُ استراتيجية بولس في أثينا، دُعِيَ عَرَضاً إلى مكانٍ جميلٍ مُميَّزٍ على تلةِ مارس، التي كانت تُعرفُ بأريوس باغوس. كانَ أريوس باغوس مكاناً لا يُدعى إليه إلا أشخاصٌ مشهورونَ للمُقارعة. وكانَ المكانُ يُستخدَمُ أيضاً كقاعةٍ محكمة، وكانَ مُشرفاً على مدينةِ أثينا. عندما دُعِيَ بولس ليتكلمَ في أريوس باغوس على تلةِ مارس، ألقى عِظَةً في مُنتهى البلاغة. بدأً بالقول: "أيُّها الرجالُ الأثينيونَ أراكم من كُلِّ وجهٍ مُتدبِّنونَ كثيراً. لأنِّي بينما كُنتُ أجتازُ وأنظرُ إلى معبوداتِكُم وجدتُ أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه: لإلهٍ مجهول. فالذي تتقونهُ وأنتم تجهلونهُ هذا أنا أنادي لَكُمْ به." (٢٢، ٢٣).

لقد كانَ تصرفُ بولس في غايةِ الذكاء. مدَحَ بولس شعبَ أثينا لكونهم مُتدبِّنين. ثمَّ قالَ لهمَ ما معناه، "رأيتُ أنَّ أحدَ ألهتِكُم كانَ مكتوباً تحتهُ ما يعني أنَّه يُوجدُ على الأقلَّ إلهٌ واحدٌ أنتم تجهلونهُ. هذا هو الإلهُ الذي سأخبرُكم عنه."

ثمَّ وعظَ بولس أننا نحنُ ذريةُ الإلهِ خالقِ السماءِ والأرض. لهذا، لا يُمكنُ أن يُصنَعَ اللهُ من ذهبٍ أو فضةٍ أو حجرٍ أو خشبٍ. هنا يقتبسُ بولس من شعرائهم اليونانيين، لأنَّه

حَتَّى شعراؤُهُمْ قالوا أَنَّا ذُرِّيَّةُ اللَّهِ. ومن ثَمَّ إقْتَبَسَ من شعرائِهِمْ، وفي نَهايةِ عَظَمَتِهِ، أَعْلَنَ مَوتَ وقيامةِ يسوع المسيح. وعندما وعظَ بُولُسَ عن القِيامةِ، نَقَرُ: "ولَمَّا سَمِعُوا بِالقيامةِ من الأمواتِ كانَ البَعْضُ يَسْتَهزِئُونَ والبَعْضُ يَقُولونَ سَنَسْمَعُ مِنْكَ عن هذا أيضاً. وهكذا خَرَجَ بُولُسُ من وَسَطِهِمْ. وَلَكِنَّ أَناساً اِلْتَصَقُوا بِهِ وآمَنُوا. مِنْهُم دِيونِيسِيوسُ الأَرِيوْبَاغِيّ وامرأةٌ إِسْمُها دَامِرْسُ وآخَرُونَ مَعَهُمَا." (٣٢ - ٣٤)

يُخْتَلَفُ المفسِّرونَ حَولَ طَريقةِ تَقْيِيمِ عِظَةِ بُولُسِ على تَلَّةِ مَارَسِ. يَعتَقِدُ بعضُ المفسِّرينَ أَنَّ بُولُسَ إِستَسلَمَ للضُّعُوطاتِ الفِكرِيَّةِ للحِضارةِ اليُونانِيَّةِ، عندما إقْتَبَسَ من فِلاسفَتِهِمْ وشُعرائِهِمْ، ولهذا كانت الحِصيلةُ التَّبشيريَّةُ هزيلةً جِداً. فلا نَجِدُ رسالةً إلى أَهلِ أَثينا، ولا نرى بُولُسَ يُشيرُ إلى كَنِيسةٍ أَسسَها في أَثينا كما في سائِرِ المُدنِ، مثل كورنثوسِ وأفسسِ. هُنَاكَ مُفسِّرونَ آخَرُونَ يُخالِفونَ هذا الرَّأيَ. أَنَا شَخِصِيًّا مُقتَنِعٌ أَنَّ بُولُسَ نَما في فِلسفَةِ وعِظِهِ التَّبشيريِّ نَتيجَةً لإِختِبارِهِ في أَثينا.

الإِنْجِيلُ يَصِلُ إلى كورنثوسِ

من أَثينا، إِنْتَقَلَ بُولُسُ مُباشرةً إلى كورنثوسِ. ولقد كانت كورنثوسُ مَدِينَةً مُنحَلَّةً أَخلاقِيًّا. في عَالَمِ القَرْنِ الأوَّلِ، أَن تَدْعُوَ شَخِصاً "كورنثوسِي" كانَ يعني أَنَّكَ تَتَّهَمُهُ بِأَنَّهُ مُنحَلٌّ أَخلاقِيًّا. بينما كانَ بُولُسُ يَتفَكَّرُ في الكِرازةِ بالإِنْجِيلِ في مَدِينَةٍ مثل كورنثوسِ، إِمْتِلاءً بالخَوْفِ (١ كورنثوس ٢: ٣). وَلَكِنَّ اللَّهَ طَمَأَنَ بُولُسَ في رُؤيا قَائِلاً لَهُ، "لا تَخَفْ بل تَكَلِّمْ ولا تَسْكُتْ. لأَنِّي أَنَا مَعَكَ ولا يَقَعُ بِكَ أَحَدٌ لِيُؤذِيكَ. لأنَّ لي شَعْباً كَثِيراً في هذه المَدِينَةِ." (أعمال ١٨ : ٩، ١٠).

لقد كانت لدى بُولُسِ عَنصَرَتُهُ الخاصَّةُ لِتَحضيرِهِ لخدمَتِهِ في كورنثوسِ. بمعنى ما بإمكاننا القول أَنَّهُ كانَ لَدَيْهِ إِختِبارٌ حَضَرَهُ لخدمَتِهِ لِلعَلاطِيِّينَ، لِلأَفْسُسِيِّينَ، لِلفِيلِيبِّيِّينَ، وَلِلكورنثِيِّينَ. لقد كانت هذه الإِختِباراتُ تَدخُلُاتِ إلهِيَّةٍ أَكَّدَتِ لِبُولُسِ حَقِيقَةَ أَنَّ المسيحَ الحَيَّ القَائِمَ من المَوتِ كانَ مَعَهُ عندما كانَ يَنشُرُ الإِنْجِيلَ في هذه المُدنِ السِّتِراتِيجِيَّةِ. وهكذا إِستَمَرَّتْ عِجائِبُ وآياتُ يَومِ الخَمِسينَ كِصدي تَمُوجاتٍ من القُوَّةِ لِتُمكِّنَ الكَنِيسةَ من إِعلانِ الإِنْجِيلِ الَّذي إِتَمَنَّا عَلَيْهِ المسيحَ. إِنَّ نَمادِجَ يَومِ الخَمِسينَ أو العَنصَرَةِ هي التي زَرَعَتِ الكَنِيسةَ في الجِيلِ الأوَّلِ من التاريخِ الكَنسِيِّ.

إنَّ وُجْهَةَ النَّظَرِ الَّتِي شَارَكْتُمْ بِهَا عَنِ الْعِظَةِ الَّتِي أَلْفَاها بُولُسُ فِي أَثِينَا، لَهَا عِلَاقَةٌ بِوُجْهَةِ النَّظَرِ الَّتِي شَارَكَهَا بُولُسُ مَعَ مُؤْمِنِي كُورِنْثُوسَ. لَقَدْ كَتَبَ لَهُمْ قَائِلًا أَنَّهُ عِنْدَمَا أَتَى إِلَى كُورِنْثُوسَ، كَانَ قَدْ قَرَّرَ أَنْ لَا يَسْتَعِدِّمَ "كَلَامَ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُنْعَمِ"، بَلْ أَنْ يُقَدِّمَ بِبَسَاطَةٍ بُرْهَانَ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ (١ كُورِنْثُوسَ ٢: ١-٥). عِنْدَمَا أَلْقَى بُولُسُ تِلْكَ الْعِظَةَ عَلَى تَلَّةِ مَارَسَ، لَمْ يَسْتَعِدِّمَ "كَلَامَ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُنْعَمِ". "إِقْتَبَسَ مِنْ شُعْرَائِهِمْ وَفَلَسَفَتِهِمْ، مُلْقِيًا عِظَةً فِي مُنْتَهَى الْبَلَاغَةِ وَالذِّكَاةِ.

إنَّ الْكَلِمَةَ الْيُونَانِيَّةَ "تَبشِير" تَعْنِي حَرْفِيًّا "إِعْلَانًا"، أَيِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَ يُعْلَنُ بِهَا مَرْسُومُ الْمَلِكِ لِرِعَايَاهُ فِي مُدُنٍ وَقُرَى مَمْلَكَتِهِ. إِذْ تَدْرُسُونَ وَعِظَ بُولُسُ فِي الْإِصْحَاحَاتِ السَّتَّةِ الْقَادِمَةِ مِنْ هَذَا السَّفَرِ التَّارِيخِيِّ الْمُوْحَى بِهِ، لَاحِظُوا أَنَّ مَا تَعَلَّمَهُ بُولُسُ بَيْنَ أَثِينَا وَكُورِنْثُوسَ كَانَ مَحْطَةً رُوحِيَّةً فِي تَكْوِينِ سِتْرَاتِيحِيَّتِهِ لِلْوَعِظِ بِالْإِنْجِيلِ.

أَنَا مُقْتَنِعٌ أَنَّهُ بَيْنَ خِدْمَاتِهِ فِي أَثِينَا وَكُورِنْثُوسَ، إِخْتَبَرَ بُولُسُ أَرْزَمَةً أَثَرَتْ بِعُمُقٍ عَلَى سِتْرَاتِيحِيَّتِهِ فِي وَعِظِ الْإِنْجِيلِ. لَقَدْ أَدْرَكَ بُولُسُ أَنَّ الْوَعِظَ كَانَ خِدْمَةً رُوحِيَّةً، وَكُلُّ مَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يُعْلَنَ حَقَائِقَ الْإِنْجِيلِ عَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. خَتَمَ بُولُسُ رِسَالَتَهُ إِلَى الْكُورِنْثُوسِيِّينَ بِتَبصِيرِ آخَرَ عَنِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي كَرَزَ بِهِ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَى مَدِينَتِهِمْ (١ كُورِنْثُوسَ ١٥: ١-٤). كَتَبَ يَقُولُ لِأَهْلِ رُومِيَّةٍ: "لَسْتُ أَسْتَحِي بِالْإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلخِلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ." (رُومِيَّةَ ١: ١٦).

بَعْدَ أَثِينَا وَكُورِنْثُوسَ، أَعْلَنَ بُولُسُ بِبَسَاطَةِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ، وَتَحَدَّثَ تَكَرَّارًا عَنِ إِخْتِبَارِهِ الشَّخْصِيِّ وَعَنِ كَيْفِيَّةِ إِخْتِبَارِهِ لِهَذَا الْإِنْجِيلِ.

بُولُسُ فِي أَفْسُسَ

لَقَدْ كَانَتْ خِدْمَةُ بُولُسِ الْعَظِيمَةَ فِي مَدِينَةِ أَفْسُسَ هِيَ إِتْمَامُهُ لِرِغْبَتِهِ بِإِصْالِ الْإِنْجِيلِ إِلَى آسِيَا. فِي أَفْسُسَ، دَخَلَ بُولُسُ فِي مَجَالِ خِدْمَةِ مُثْمِرَةٍ جَدًّا فِي تَأْسِيسِ الْكِنَائِسِ. يَعْتَقِدُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ الْكِنَيْسَةَ الَّتِي تَأَسَّسَتْ فِي أَفْسُسَ أَصْبَحَتْ الْكِنَيْسَةُ الْأُمَّ الَّتِي وُلِدَتْ مِنْهَا سِتَّةُ كِنَائِسَ أُخْرَى، الَّتِي نَرَاهَا مَذْكُورَةً فِي سَفَرِ الرُّؤْيَا. فَكِنَائِسُ بَرِغَامُوسَ، ثِيَاتِيرَا، سَمِيرْنَا، فِيلَادِلْفِيَا، لَآوُدَكِيَّةَ، وَسَارْدِسَ، لَرُبَّمَا كَانَتْ مَرَاكِزَ تَبشِيرِيَّةَ أُسَّسَتْهَا كِنَيْسَةُ أَفْسُسَ. إِنَّ رِسَالَةَ بُولُسِ إِلَى أَهْلِ كُولُوسِي لَرُبَّمَا وُجِّهَتْ إِلَى كِنَيْسَةٍ كَانَتْ أَيْضًا ابْنَةً كِنَيْسَةُ أَفْسُسَ.

أحد أسباب كون الكنيسة التي تأسست في أفسس مُثْمِرَةً إلى هذا الحدّ، هُوَ أَنَّ بُولُسَ أَسَّسَ فِيهَا مَدْرَسَةً لِأَهْوَت. نَقَرْنَا أَنَّهُ عَلَّمَ "في مدرسة تيراثوس لمدّة سنتين." (أعمال ١٩: ١٠). تُخْبِرُنَا إِحْدَى الْمَخْطُوطَاتِ الْقَدِيمَةِ أَنَّهُ كَانَ بِإِمْكَانِ بُولُسِ أَنْ يَسْتَعِيرَ مَبْنَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَيُعَلِّمَ فِيهَا مِنَ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ صَبَاحًا وَحَتَّى الْخَامِسَةَ مَسَاءً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ، أَيْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ تَكُنِ الْمَدْرَسَةُ تُسْتَعْمَلُ فِيهِ. فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْعَالَمِ، يَتَوَقَّفُ نَهَارُ الْعَمَلِ لِبَضْعِ سَاعَاتٍ مِنْ قَيْلُولَةِ الْعَصْرِ، عِنْدَمَا يَكُونُ الطَّقْسُ حَارًّا، مِمَّا يُوقِفُ الصُّفُوفَ.

لَرُبَّمَا دَرَّبَ بُولُسَ رُعَاةَ هَذِهِ الْمَرَكَزِ التَّبَشِيرِيَّةِ فِي تِلْكَ الْمَدْرَسَةِ. إِنَّ مَدْرَسَةَ اللَّهِ هَذِهِ تُفَسِّرُ لِمَاذَا بَقِيَ بُولُسُ فِي أفسسٍ لِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ، هَذِهِ الْمُدَّةُ الَّتِي كَانَتْ أَطْوَلَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي قَضَاهَا فِي أَيٍّ مِنَ الْمُدُنِ الْأُخْرَى الَّتِي أَسَّسَ فِيهَا كَنَائِسَ. لَقَدْ كَانَتِ الْكَنِيسَةُ فِي أفسسٍ قَدْ تَعَلَّمَتِ الْكَثِيرَ بَعْمَقٍ مِنْ خِلَالِ هَذَا الرَّاعِي وَالْمُعَلِّمِ، لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ يُذَكِّرُهُمْ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ رِسَالَتِهِ الرَّائِعَةِ لِلأفسسِيِّينَ بِمَا سَبَقَ وَعَلَّمَهُمْ بِهِ.

إِحْدَى أَكْثَرَ الْمُلَاحَظَاتِ تَأْثِيرًا حِيَالَ بُولُسِ وَخِدْمَتِهِ فِي سَفَرِ الْأَعْمَالِ التَّارِيخِيِّ هَذَا، نَجِدُهَا فِي الْإِصْحَاحِ الْعِشْرِينَ. لَقَدْ كَانَ بُولُسُ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، حَيْثُ أَوْضَحَ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَنَّهُ سَيَتَمُّ تَوْقِيفُهُ هُنَاكَ، وَسَوْفَ يُقَيَّدُ وَيُضْرَبُ (أعمال ٢٠: ٢٢ - ٢٤). عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ يُسَمَّى مِيلِيْتُسَ، بِالْقُرْبِ مِنْ أفسسٍ، أَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ مُجَدِّدًا قَرِيبًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِي وَضَعَ فِيهِمْ الْكَثِيرَ مِنَ الْجُهْدِ فِي خِدْمَتِهِ مَعَهُمْ. لِهَذَا أَرْسَلَ بِطَلْبِ شُيُوخِ كَنِيسَةِ أفسسٍ، وَهُنَاكَ، عَلَى شَاطِئِ مِيلِيْتُسَ، أَعْطَاهُمْ خَطَابَهُ الْوِدَاعِيِّ. لَقَدْ كَانَ كَلِمَاتُ بُولُسِ الْأَخِيرَةَ لِهَؤُلَاءِ الشُّيُوخِ هِيَ: "وَالآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلَّهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ. فِضَّةٌ أَوْ ذَهَبٌ أَوْ لِبَاسٌ أَحَدٌ لَمْ أَشْتَهُ. أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِيَ خِدْمَتَهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتَعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الصُّعْفَاءَ مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرَ مِنَ الْأَخْذِ." (أعمال ٢٠: ٣٢ - ٣٥).

بِمَا أَنَّ بُولُسَ دَعَمَ نَفْسَهُ فِي أفسسٍ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَهَمَهُ بِالْوَعْظِ وَالتَّعْلِيمِ لِقاءِ أُجْرَةٍ أَوْ عَطَايَا أَرَادَ الْحُصُولَ عَلَيْهَا مِنْهُمْ. بِالْوَاقِعِ، لَمْ يَدْعَمْ بُولُسُ نَفْسَهُ فَحَسْبَ، بَلْ وَدَعَمَ كُلَّ فَرِيْقِهِ الْإِرْسَالِيِّ أَيْضًا، لِأَنَّهُ أَرَادَهُمْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَقِيقَةَ كَلِمَاتِ يَسُوعَ، "مَغْبُوطٌ

هُوَ العطاءُ أَكثَرَ مِنَ الأخذِ. " إِنَّ تصریحَ يسوعِ هذا يَنبَغِي أن يُمثِّلَ دافعنا للعملِ الشاقِ. فإن كُنَّا نعملُ عملاً شاقاً ونكسبُ المالَ، سيكونُ لدينا شيءٌ نُعطيهِ، ولهذا سيكونُ بإمكاننا أن نتعلَّم هذه "التطوية التاسعة" من يسوع.

عندما أخبرَ بولس هؤلاء الشيوخَ أَنَّهُم لن يروا وجهه ثانيةً، "كان بُكاءٌ عظيمٌ من الجميع ووقَعوا على عُنقِ بولس يُقبَلُونَهُ." (٣٧) إِنَّ هذه هي نظرةٌ جميلةٌ لعبارة Koinonia، أو الشركة الحميمة التي نَجِدُها في الجيلِ الأوَّل من الكنيسة.

الفصل الثامن

"نماذج بولس"

في الإصحاح الحادي والعشرين، نقرأُ أَنَّ بولس وصلَ إلى أورشليم وبدأ بالوعظ. ونتيجةً لوعظه، تعرَّضَ لهجومٍ من قِبَلِ الجموعِ الصاخبةِ (٢٧). لقد ضربَ الجمعُ بولسَ حتَّى قاربَ الموت، وعندما أتى ضابطُ رومانيٍّ مع جنودِهِ، وأنقذوا بولسَ من أيديهم. بينما كان الجنودُ يحملونَ بولسَ فوق رؤوسِهِم إلى داخلِ القلعة، حيثُ سيكونُ سجينَ روما، إلتمسَ بولسُ من القائدِ العسكري أن يُترلوه عن الأُكفِّ وأن يدعوه يعِظ، لأنَّهُ رأى فرصةً رائعةً للوعظِ بالإنجيل. وهكذا ألقى عظةً رائعةً، نراها مُسجَّلةً في الإصحاح التالي.

لم تكن هذه العظة كالعظة التي ألقاها بولس على تلةِ مارس في آريوس باغوس. هنا لم يقتبس بولس من الشعراء والفلاسفة، ولم يستخدم كلامَ الحكمةِ الإنسانيَّةِ المُقنع. بل أعطى شهادةَ إختباره الشخصي للمسيح. وأخبرَ عن قصتهِ أو إختباره مع الله ومع يسوع المسيح. ولم تكن ردةُ الفعلِ مُتنوعةً. نقرأ: "فسمِعوا له حتَّى هذه الكلمةُ ثمَّ رفعوا أصواتَهُم قائلين خذْ مثلَ هذا من الأرضِ لأنَّهُ كان لا يجوزُ له أن يعيش." (٢٢: ٢٢) فعندما ثارَ الجمعُ مُجدِّداً، عادَ الجنودُ وأخذوا بولسَ إلى القلعة.

عندما كانَ الرومانُ يُوقفونَ أحداً، كانوا يقومونَ بتقييدهِ إلى عامودٍ وسطَ الساحةِ وبجلدهِ، وكانوا يفعلونَ هذا إلفاتاً للإنتباه. وكانوا يُسمونَ هذا "الفحص بالضرب." وبينما كانوا على وشكِ تقييدِ بولس إلى عامودٍ لضربه، قالَ بولس للجنود الذين كانوا يُقيِدُونَهُ أَنَّهُ مواطنٌ رومانيٌّ. فذهبَ الجنودُ إلى الأمير وأخبروه أن لا يجلدَ بولسَ (٢٩). لا

يسعني إلا أن أتساءل لماذا لم يعلن بولس حقوقه كحامِلٍ للجنسية الرومانية عندما أوقف هو وسيلا وضربوا في فيلبّي. لربّما سمح لنفسه أن يضرب هناك، لأنه أراد أن يستخدِمَ هذا كورقة ضغط على حُكّامِ تلك المدينة فيما بعد.

بعد أن قرّر الرومان أنه لم يعد بوسعهم أن يضربوه، وضعوه في السجن. وفي اليوم التالي، قرّروا أن يبدأوا المحاكمة أمام رئيس الكهنة والسندريم. ودُعِيَ اليهود المتدينون الذين كانوا يُحاججون بولس، لكي يوجهوا له التهم في المحاكمة.

يبدأ سجلّ المحاكمة في أعمال ٢٣. كانت هذه أوّل محاكمة من سلسلة طويلة من المحاكمات التي سيخضع لها بولس. نرى إنسانية بولس عندما تبدأ هذه المحاكمة. فلقد جال بنظره في قاعة المحكمة بمقدار ما ساعدته نظره على تمييز الحاضرين، ولاحظ أن نصف الحضور هم من الفريسيين، أي من اليهود المحافظين. لقد كانوا جماعة منظمّة مهمتها الدفاع عن إستقامة الإيمان اليهودي. وكان النصف الآخر من الحضور من الصدوقيين. وكان هؤلاء من المتحرّرين. فلم يكن الصدوقيون يؤمنون بالقيامة، ولا بالأمر الخارق للطبيعة. وهكذا نظر بولس حوله في قاعة المحكمة، فرأى أنها مقسومة مناصفة بين الصدوقيين المتحرّرين، والفريسيين المحافظين. فوقف بولس وقدم تصريحاً حدّفاً قائلاً، "أيها الرجال الإخوة أنا فريسيّ ابن فريسيّ. على رجاء قيامة الأموات أن أحاكم." (أعمال ٢٣: ٦)

عندما صرّح بولس بفطنة بإيمانه بقيامة الأموات، حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين، فإحاز الفريسيون إلى بولس. لقد عرف بولس أنه لن ينال محاكمة عادلة في هذه المحكمة، بسبب محاولة اليهود السخرية منه. فقرّر أن يقلب المحكمة رأساً على عقب، كما فعل في مدينة فيلبّي. فكان على الجنود أن ينقذوه ثانيةً ويأخذوه إلى القلعة ليضعوه في السجن، من أجل حمايته.

فقام أربعون من هؤلاء اليهود بأخذ عهدٍ على أنفسهم بأن لا يأكلوا ولا يشربوا إلى أن يقتلوا بولس. كانت خطّتهم أن يكمنوا له على الطريق، ويقتلوه بينما يحضّر للإستجواب (١٢). وسمع ابن أخت بولس هؤلاء اليهود الصائمين يتأمرون لقتل بولس،

فجاءَ إلى السجن وزارَ بُولُسَ وأخبرَهُ عن هذه المؤامرة. ثُمَّ ذهبَ الشابُّ إلى الأمير وأخبرَهُ ما كانَ يُخطِّطُ لَهُ هؤلاء الأربعة يهودياً.

فَاتَّخَذَ هذا الأميرُ قراراً بأن يُرْسِلَ بُولُسَ إلى مكانٍ آخَرَ ويُخْرِجَهُ من تحتِ مسؤولِيَّتِهِ. وهو لم يكن يعرفُ ماذا فعلَ بُولُسَ أو ما الذي كانَ يحدثُ، ولكنَّهُ عرفَ أَنَّ هذا الرجلَ كانَ مصدرَ المشاكلِ. وهكذا نقرأ أَنَّهُ "دعا إثنين من قُوَادِ المئات وقالَ أَعِدَّا مِئَتِي عسْكَرِي لِيذْهَبُوا إلى قِيسْرِيَّةِ وسبعينَ فارساً ومِئتي راميحٍ من الساعةِ الثالثة من الليل. وأن يُقدِّمًا دوابَّ لِيركبَا بُولُسَ ويُوصِلَاهُ سالِماً إلى فيلكس الوالي." (٢٣، ٢٤)

أليسَ هذا مُثيراً للإهتمام؟ فتحتَ جناحَ الظَّلامِ، إذا بهذا اليهوديِّ الصَّغيرِ القامةِ الضَّعيفِ النَّظَرِ، والذي كانَ مُجرِّحاً من كثرةِ ضربِ اليهودِ المُتَعَصِّبِينَ الهائجينَ لَهُ، إذا به يُحاطُ بِحِمايَةِ أربعِ مائةٍ وسبعينَ جُنْدِيّاً رومانياً لِحِمايَتِهِ، ثُمَّ تسَلَّلَ هؤلاءُ بِهِ من البابِ الخلفيِّ للقلعةِ، وأخذوه على شاطئِ البحرِ المُتوسِّطِ، ذاهبينَ من أورشليمَ إلى قِيسْرِيَّةِ في فلسطين.

المثولُ أمامَ حاكِمين

عندما وصلَ بُولُسَ إلى قِيسْرِيَّةِ في فلسطين، سَلَّمَ للوالي فيلكس. فطلبَ فيلكس من اليهودِ أن يحضُرُوا إلى قِيسْرِيَّةِ لكي يَتَهَمُوا بُولُسَ بِجرائمِهِ. فجاءَ اليهودُ، وهُنَا أيضاً ألقى بُولُسَ رسالةً عظيمةً أمامَ الوالي ومَحْكَمَتِهِ. فأخبرَ بُولُسَ مُجدِّداً بِقِصَّةِ إختِبارِهِ.

وفي نِهايَةِ هذه المُحاكَمَةِ، قرَّرَ فيلكس أَنَّ هذا الرجلَ بُولُسَ لا يجبُ أن يُعْتَبَرَ مُجرِماً. ولكنَّهُ قرَّرَ أن يُبْقِيَ بُولُسَ تحتَ الإقامَةِ الجبرِيَّةِ نوعاً ما، إلى أن يُقرَّرَ فيلكس ما سيفعلُهُ بهذا السجينِ غيرِ الإعتياديِّ (أعمال ٢٤: ٢٢، ٢٣).

لقدِ افْتِنَنَ الحاكِمُ فيلكسُ وزوجتُهُ اليهودِيَّةُ دُرُوسِيلا بِبُولُسِ ساعةَ سَمِعاهُ يُدافعُ عن نَفْسِهِ. تَأثراً جِداً حتَّى طَلَبَا مَوْعِداً مَعَهُ على إِفْرادٍ. ولقد كانَ من دَواعي سُرورِ بُولُسِ أن يقومَ بهذا العملِ، ولكنَّ رسالَتَهُ كانت تُسبِّبُ الإضطرابَ. "وبينما كانَ بُولُسُ يَتَكَلَّمُ عَنِ البرِّ والتَّعَفُّفِ والدينونةِ العتيدةِ أن تكونَ، ارتعَبَ فيلكسُ وأجابَ: أمّا الآنَ فاذهبْ ومتى حَصَلْتُ على وَقْتِ أَسْتدْعِيكَ." (٢٤، ٢٥).

لقد تَبَكَّتَ الحَاكِمُ بُوْضُوْحٍ مِنَ الرُّوْحِ القُدُسِ عِنْدَمَا سَمِعَ بُوْلُسَ يَعِظُ، فِي الجَمَاعَةِ
أَمْ عَلَى إِنْفِرَادٍ. فَكَانَ غَالِبًا مَا يَدْعُو بُوْلُسَ، وَلَكِنَّا نُنْخَبِرُ أَنَّ دَوَافِعَهُ كَانَتْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ
بُوْلُسَ مَا لَّا لِيُطْلِقَهُ. وَنَقْرَأُ أَيْضًا أَنَّهُ أَبْقَى بُوْلُسَ فِي السِّجْنِ لِيَسْتَرْضِيَّ الْيَهُودَ.

وَلَمَّا كَمَلَتْ سِنْتَانِ، مَاتَ فِيلِكْسُ وَجَاءَ بوركِيوسُ فستوسَ خَلِيفَةً لَهُ. عِنْدَمَا
اكتشفَ الحَاكِمُ فستوسَ حَالَمَا اسْتَلَمَ السُّلْطَةَ أَنَّ فِي حَوَازَتِهِ سَجِينًا مَشْهُورًا دِينِيًّا وَسِيَاسِيًّا،
إِسْتَدْعَاهُ إِلَى المَحَاكِمَةِ. لَقَدْ عَرَفَ بولسُ أَنَّهُ لَنْ يُحَاكَمَ بَعْدَالَةٍ فِي مَحَاكِمَ تَحْتَ تَأْثِيرِ الْيَهُودِ
فِي أُورَشَلِيمَ. لِهَذَا رَفَعَ بُوْلُسَ دَعْوَاهُ فِي هَذِهِ المَحَاكِمَةِ إِلَى قَيْصَرَ، الَّذِي كَانَ مِنْ حَقِّهِ
كَمُوَاطِنِ رُومَانِيٍّ (أَعْمَالُ ٢٥ : ١٠). فَأَجَابَ الحَاكِمُ: "إِلَى قَيْصَرَ رَفَعْتَ دَعْوَاكَ، إِلَى
قَيْصَرَ تَذْهَبُ" (١٢).

أَمَامَ المَلِكِ أَغْرِيْبَاسِ

بَيْنَمَا كَانَ يَنْتَظِرُ بولسُ أَنْ يُرَحَّلَ إِلَى رُومَا، نَزَلَ المَلِكُ أَغْرِيْبَاسُ وَزَوْجَتُهُ بَرْنِيكِي
ضَيْفَانِ عَلَى الحَاكِمِ فستوسَ. فَبَعْدَ أَنْ سَمِعَا عَنْ بُوْلُسَ، أَخْبَرَا فستوسَ أَنَّهُمَا يُجِيبَانِ أَنْ
يَلْتَقِيَا بِبُوْلُسَ (٢٢). هَلْ تَذْكُرُ مَا قَالَهُ الرَّبُّ لِحَنَانِيَا عَنْ خَطِيئَةِ لِبُولَسَ، قَالَ لَهُ: "سَيَحْمَلُ
إِسْمِي أَمَامَ أُمَّمِ وَمَلُوكِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ" (أَعْمَالُ ٩ : ١٥). لَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ التُّبُوَّةُ عِنْدَمَا
إِلْتَقَى بُوْلُسَ بِالمَلِكِ أَغْرِيْبَاسِ.

وَهَكَذَا أُحْضِرَ بولسُ أَمَامَ المَلِكِ وَالمَلِكَةِ، حَيْثُ أَلْقَى عِظَةً أُخْرَى رَائِعَةً. مَرَّةً أُخْرَى
أَخْبَرَ بُوْلُسَ عَنْ قِصَّةِ تَجْدِيدِهِ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ. وَبَيْنَمَا كَانَ بولسُ الرِّسُولُ يَخْتِمُ عِظَتَهُ
العَظِيمَةَ، وَقَفَ الحَاكِمُ وَقَالَ: "أَنْتَ تَهْذِي يَا بولسَ. الكُتُبُ الكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الهَذْيَانِ!"
(أَعْمَالُ ٢٦ : ٢٤).

إِنَّ المِصْطَلَحَ "تهذي" يَعْنِي فِي اليُونَانِيَّةِ "غَرِيبَ الأَطْوَارِ"، أَوْ "خَارِجَ مِحْوَرِ ذَاتِكَ".
نَعَمْ هَذَا صَحِيحٌ، لَقَدْ ابْتَعَدَ بولسُ عَنِ المَرْكَزِ. كَانَ لِبُولَسَ مَرْكَزًا آخَرَ تَدَوَّرَ حَوْلَهُ حَيَاتُهُ.
ذَلِكَ المَرْكَزُ كَانَ المَسِيحَ يَسُوعَ المَقَامَ الَّذِي قَابَلَهُ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ. فَمِثْلَ فِيلِكْسَ، تَأَثَّرَ
الحَاكِمُ فستوسَ أَيْضًا بِكَلِمَاتِ بُوْلُسَ.

لكن بولس تحوّل بالحديث إلى الملك. كان الملك أغريباس من أصل يهودي، لهذا سأله بولس، "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن. فقال أغريباس لبولس بقليل تُقنعني أن أصير مسيحياً" (٢٧، ٢٨).

على الرغم من أن بعض المفسرين لا يرون صدقاً بل تمكماً في كلام أغريباس عندما قال "بقليل تُقنعني أن أصير مسيحياً"، إلا أنني أرى إخلاصاً فيما قال. لهذا كان جواب بولس مُخْلِصاً أيضاً إذ قال: "كنتُ أصلي إلى الله أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط، بل أيضاً جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا ما خلا هذه القيود". (٢٩)

سبب آخر يجعلني أعتقد أن أغريباس كان صادقاً، هو ما نقرأه عن تجاوب الملك، والملكة، والحاكم، بعد أن تكلم بولس: "فلما قال هذا قام الملك والوالي وبرنيكي والجالسون معهم. وانصرفوا وهم يُكلمون بعضهم بعضاً قائلين إن هذا الإنسان ليس يفعل شيئاً يستحق الموت أو القيود. وقال أغريباس لفستوس كان يُمكن أن يُطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر". (٣٠ - ٣٢)

رحلة بولس إلى روما

إحدى أكثر القصص إثارةً في هذا السفر التاريخي الموحى به، هو سرد لوقا لرحلة بولس في البحر إلى روما (أعمال ٢٧). لقد برهن بولس عن قدرات قيادية غير اعتيادية عندما حمل شهادةً عجائبية لكل الناجين من هذه الرحلة معه. لقد أخذ كلمة من الرب أنه بسبب ظروف الطقس التي تهدد سفرهم بالخطر، فعلى السفينة أن لا تُبحر عندما تصل إلى كريت. ولكن القادة الرومانيين لم يصغوا لنصيحة سجينهم بولس.

وعندما هبت العاصفة التي تنبأ بها بولس، وبعد أربعة عشر يوماً من إستسلام السفينة لأهواء العاصفة الهوجاء، وبعد أن أصبح المسافرون مُصابين بدوار البحر، وغير قادرين على تناول الطعام، وعظ بولس هؤلاء المسافرين المدعورين رُفقاءه (٢٠ - ٢٦). لقد أكد بولس لكل المسافرين على متن السفينة أن الله ظهر له وأكد له أنه بالرغم من أن السفينة سوف تتحطم إلى أشلاء، ولكن أحداً من ركابها لن يُصاب باذى، بل سينجون.

وعندما تحققت الكلمة النبوية التي أخذها بولس من الرب بحذافيرها، نجح الناجون في الوصول إلى جزيرة مالطا. فأشعلوا ناراً لكي يجففوا ثيابهم المبللة وأجسادهم

التي كانت ترتجفُ برداً. وإذا بأفعى سامّة تنشبُ من وسطِ الحطبِ المشتعلِ وتنقضُ على يدِ بولس وتلسعه. فظنَّ سُكَّانُ مالطا الأصليين أن بولس كانَ ولا بُدَّ مُذنباً بجرائمِ فظيعة، ولهذا كانَ اللهُ يقتصُّ منه العقاب. ولكن عندما نفَضَ بولس الأفعى السامّة من يدهِ إلى النار، ولم يُصبه شيءٌ من الضرر، ظنَّ السُكَّانُ الأصليون أنه ينبغي أن يكونَ إلهاً.

عندما تمَّت مُتَابَعَةُ الرَّحَلَةِ إِلَى رُومَا عَلَى مَتَنِ سَفِينَةٍ أُخْرَى، قَدَّمَ لُوقَا صُورَةً جَمِيلَةً عَنِ الْمُجْتَمَعِ الْمَسِيحِيِّ الرُّوحِيِّ فِي رُومَا، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ الْمَسِيحِ الْحَيِّ الْقَائِمِ مِنَ الْمَوْتِ. مِنَ الْمُؤَثِّرِ جَدًّا أَنْ نَقْرَأَ كَيْفَ تَعَلَّمَ الْمُؤْمِنُونَ فِي رُومَا عَنِ وُصُولِ بُولُسِ الْمُتَوَقَّعِ، وَكَيْفَ تَشَجَّعَ وَتَعَزَّى قَلْبُهُ، عِنْدَمَا لَاقَاهُ الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى مَدِينَةِ رُومَا سَجِينًا.

بينما سلّم السُجْنَاءُ إِلَى سُلْطَاتِ السَّجْنِ الرُّومَانِيَّةِ، سُمِحَ لِبُولُسِ أَنْ يَسْكُنَ فِي الْإِقَامَةِ الْجَبْرِيَّةِ فِي بَيْتِ إِسْتَأْجَرِهِ لِنَفْسِهِ، حَيْثُ مَكَثَ قَسْرِيًّا لِمُدَّةِ سَنَتَيْنِ. لَقَدْ سُمِحَ لَهُ بِدَعْوَةِ قَادَةِ الْيَهُودِ فِي الْمَدِينَةِ، وَإِنْسِجَامًا مَعَ سِتْرَاتِيحِيَّتِهِ الَّتِي تَقُولُ "لِلْيَهُودِيِّ أَوْلًا"، رَاحَ يَكْرِرُ بِالْإِنْجِيلِ مُعَلِّمًا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ الْمُرْسَلُ لَهُمْ. فَآمَنَ الْبَعْضُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَهُمْ أَصْبَحُوا أَعْدَاءَ الْإِلْدَاءِ لِبُولُسِ.

فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْمُسْتَأْجَرِ، كَتَبَ بُولُسُ رِسَالَتَهُ الْمَدْعُوعَةَ بِرِسَائِلِ السَّجْنِ - غَلَاطِيَّةِ، أَفْسُسِ، فِيلِيبِّي، وَفِيلِمُون - وَكَانَ مَسْمُوحًا لَهُ بِإِسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ، وَكَانَتْ آخِرُ صُورَةٍ رَسَمَهَا لَنَا لُوقَا عَنِ هَذَا الرَّسُولِ الْمَحْبُوبِ، هِيَ أَنَّهُ كَانَ يَكْرِرُ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ لِكُلِّ الَّذِينَ كَانُوا يَزُورُونَهُ وَيُصْغُونَ إِلَيْهِ (٢٨: ٣٠، ٣١).

بِعِزَلٍ عَمَّا نَتَعَلَّمُهُ مِنْ رِسَالَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ الثَّانِيَةِ إِلَى تِيمُوثَاوُسِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ لِكَيْ نَعْرِفَ نَهَايَةَ حَيَاةِ بُولُسِ وَخِدْمَتِهِ. يُعْتَقَدُ مُعْظَمُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ بُولُسَ مَثَلٌ لِلْمُحَاكَمَةِ أَمَامَ قَيْصَرَ، ثُمَّ أُطْلِقَ سَرَاخُهُ، ثُمَّ ذَهَبَ مَدْعُومًا مِنْ كَنِيسَةِ رُومِيَّةٍ لِكَيْ يُوسِّعَ نُحُومَ خِدْمَتِهِ الْإِرْسَالِيَّةِ الْعَظِيمَةِ إِلَى إِسْبَانِيَا.

عِنْدَمَا أَحْرَقَ نِيرُونَ رُومَا، وَأَلْقَى اللَّائِمَةَ عَلَى الْمَسِيحِيِّينَ، إِنْفَجَرَ ضِدَّ الْكَنِيسَةِ إِضْطِهَادٌ عَنيفٌ إِسْتَمَرَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ قُرُونٍ. فَأَصْبَحَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْمَسِيحِ مَكْرُوهِينَ، وَاعْتَبِرُوا وَكَأَنَّهُمْ أَلْدَّ أَعْدَاءِ حُكُومَةِ وَشَعْبِ رُومَا. وَلَقَدْ أَصْبَحَ كُلُّ مَنْ بَطَرَسَ وَبُولُسَ أَكْثَرَ شَخْصِيَّتَيْنِ مَكْرُوهَتَيْنِ. فَأَلْقِيَ الْقَبْضُ مُجَدِّدًا عَلَى بُولُسِ. وَيُعْتَقَدُ الْمَفْسِّرُونَ أَنَّهُ سُجِنَ

عندها في سجنِ المَمرتَينِ المُرعِبِ في رُوما، من حيثُ كُتِبَ رسالتهُ الثانيةُ إلى تيموثاوس، قبلَ أن يُقَطَعَ رأسُهُ.

هل تشعُرُ أنَّكَ بدأتَ تتأَلَفُ معَ هذا الرُسلِ العَظيمِ والرَّائعِ؟ إنَّه كاتِبُ الأسفارِ الثلاثةِ عَشرِ الثانيةِ من العَهدِ الجَديدِ، والتي سنقومُ بدراسِتها تَباعاً. فجميعُنا نحتاجُ إلى أبطالٍ ونماذجٍ من الإيمانِ لنقتَدِيَ بِها. صلاتي هي أن تُحِبَّ بُولُسَ كما أحببتهُ أنا منذُ أن قرأتُ أوَّلاً هذه الإصحاحاتِ من سفرِ أعمالِ الرُّسلِ التي كُنَّا بصدِّدِ دراسِتها.

من خِلالِ الإصحاحاتِ الأخيرةِ من هذا السفرِ التاريخيِّ، لدينا شعورٌ أن كُلَّ شيءٍ يسيرُ نحوَ أوجِ القِمةِ، عندَ زيارةِ بُولُسِ إلى عاصمةِ الإمبراطوريةِ الرُّومانيةِ، وإلى مُحاکمتهِ أمامَ قيصِرٍ. يتولَّدُ لدينا الشعورُ بأنَّ سياقَ سردِ التاريخِ يتوقَّفُ فجأةً بدونِ نهايةٍ في آخرِ هذا السفرِ التاريخيِّ. يعتَقِدُ المُفسِّرونَ أنَّ الإضطهادَ قد يكونُ السببَ الكامِنَ وراءَ هذه النهايةِ المُبتورةِ لسفرِ الأعمالِ. فإذا لاحظتَ ضميرَ المُتكلِّمِ الجَمعِ "نحنُ" في الإصحاحينِ الأخيرينِ، يتَّضحُ أنَّ لوقا كانَ معَ بُولُسِ في تلكِ المرحلةِ البحريَّةِ العاصِفةِ، وعندَ دُخولِهِ إلى رُوما. ولربَّما تمَّ توقِيفُ لوقا معَ بُولُسِ، فلم يُعدَّ بإمكانِهِ أن يُتَابِعَ كتابَةَ تاريخِهِ الرَّائعِ عن الجليلِ الأوَّلِ للكنيسةِ.

وكما ذكرتُ في بدايةِ هذا الكُتِيبِ، قد يكونُ من ترتيبِ العنايةِ الإلهيَّةِ، أنَّ تاريخَ الكنيسةِ هذا لم يَنتهِ، لأنَّنا نحنُ الآنَ، كما سبقَ لنا وكنا، نكتبُ الإصحاحَ التاسعَ والعشرينَ من سفرِ الأعمالِ، مُنذُ يومِ الخَمسينِ، عندما وُلِدَتِ كنيسةُ المسيحِ المُقامِ.

دِرَاسَةٌ مُوجِزةٌ لِرِسالَةِ بُولُسِ إلى أَهلِ رُوميةِ

الفصلُ الأوَّلُ

"نظرةُ خاطِفةِ عَلى رِسالَةِ بُولُسِ إلى أَهلِ رُوميةِ"

كتب بُولُس الرسول ثلاثة عشر سِفراً من أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين. أوَّل هذه الأسفار هي رسالة بُولُس إلى أهل رومية. لم يكتُب بُولُس رسائله بالترتيب الذي نجدُها فيه في العهد الجديد. يعتقدُ المُفسِّرون أنَّ هذه الرسالة كُتِبَت في مرحلةٍ متأخِّرة من خدمة بُولُس، في وقتٍ نضج فيه بُولُس، وطوَّرَ فيه بشكلٍ كاملٍ لاهوتَ الإنجيل الذي كرزَ به في العالمِ أجمع، وشاركه معنا في هذه الرسالة العميقة.

ولكن نضع في أيدي مُستمعينا ملاحظاتٍ حولَ البرامج الإذاعيَّة الثلاثة والسبعين التي علَّمتها عن رسالة رومية، عدداً بعدَ الآخر، كتبتُ عنها أربعة كُتبيات. ولكن في هذا التفسيرِ المُقتضب لرسالة رومية، أقدمُ بعضَ الملاحظات لأولئك الذين استمعوا إلى دراستنا المُوجزة لرسالة بُولُس المُوحاة هذه. إنَّ هذا الكُتِب هو لمحةٌ مُوجزة لما يُعلِّمه بُولُس في هذا التفسيرِ المُتكامل للإنجيل الذي كرزَ به.

تُعتبرُ رسالة رومية تُحفةٌ بُولُس اللاهوتية. ومحتوى هذه الرسالة لا يتعلَّقُ بشكلٍ خاصٍّ بالكنيسة في روما. يعتقدُ المُفسِّرون أنَّ بولس وجَّهَ هذا التفسير العميق للإنجيل إلى المؤمنين في رومية، لأنَّ روما كانت عاصمة العالم عندما كتب بُولُس هذه الرسالة.

إنَّ هذه الرسالة هي بالحقيقة تفسيرٌ مُتكاملٌ للعبارة الكُتبيَّة "مُبرَّر". في مثلِ الفريسي والعشار، أخبرنا يسوع بالأخبار السارة أنَّ أيَّ رجلٍ أو امرأةٍ يُصلي صلاة الخُطاة - صلاة التوبة والإيمان بالقُوَّة المُخلَّصة التي نجدُها في موت، دفنٍ وقيامَةِ يسوع المسيح عن خطايانا - بإمكانه أن يرجعَ إلى بيته "مُبرَّراً". (لوقا ١٨ : ١٤) هذه هي المرَّة الأولى التي نلتقي فيها بهذه الكلمة الجميلة في العهد الجديد. في هذه الرسالة إلى أهل رومية، يُفسِّر بُولُس كيفَ يعملُ اللهُ مُعجزةً التبرير الرائعة في حياة ذلك الرجل أو تلك المرأة المُبرَّرة. إنَّ هذه الرسالة هي التصريحُ الأكثر تكاملاً عن التبرير في الكتاب المقدَّس.

أن تكون مُبرَّراً يعني أكثر من أن يُغفَرَ لك؛ هذا يعني أنَّ الله أعلنَ لي أنَّني بارٌّ وكأنني لم أخطئ أبداً في حياتي من قبل، ولهذا أعلنَ اللهُ أنَّني بارٌّ. يتكلَّم بُولُس نبويّاً عن المفهوم في مزموره العميق عن الإِعتراف والتوبة، عندما يطلبُ من الله قائلاً، "أمحُ معاصيَّ." (مزمور ٥١ : ١)

إقرأ رسالة رومية في جلسة واحدة محاولاً أن تُحدِّد حُجَّة الوحي المنطقيَّة في هذا السفر. أطلبُ منك أن تقومَ بهذا، لأنَّ هذه الرسالة لديها حُجَّةٌ مُتناسِقة من بدايتها إلى نهايتها. أطلبُ مُساعدةَ الروح القدس، ومع الكثير من التركيز وبدون آية مقاطعة، حاولْ أن تُحدِّد حُجَّةَ هذا التصريح الموحى في إنجيل يسوع المسيح الذي إئتمنه لتلاميذه ليكرزوا به للخليفة كلِّها، وفي كلِّ أُمَّةٍ من أُمَّة الأرض (مرقس ١٦ : ١٥).

إنَّ الإصحاحات الأربعة الأولى من هذه الرسالة تُظهرُ كيفَ يتحقَّقُ التبريرُ للخطيِّ. فنحنُ لن نُظهرَ إهتماماً بأن نُعلنَ أبراراً إلى أن نقتنعَ أنَّنا خطاةٌ غيرُ أبرار. لهذا يُقدِّمُ بولسُ حُجَّةَ داميَّةٍ أنَّنا جميعاً خطاة. وبعدَ أن يُقنِعنا بهذه الأخبار السيئة بأننا جميعاً خطاة، يُعلنُ بولسُ الأخبار السارة أنَّ الله لديه حُطَّةٌ يجعلنا بها مُبرِّرين.

حُطَّةُ الله للتبرير

بالنسبة لبولس، النعمة هي منبع تبريرنا (٣ : ٢٤). إنَّ صليب يسوع المسيح هو القاعدة لتبريرنا، وقيامته يسوع هي ضمان كوننا مُبرِّرين (٣ : ٢٥ ؛ ٤ : ٢٤ ، ٢٥). يُختمُ بولس هذا الجزء من حُجَّتِهِ بالكلمات التالية: "إِذَا قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ، لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (٥ : ١) فإذا، الإيمان هو المبدأ الذي به نُطبِّقُ هذه المعجزة شخصياً على خطيِّتنا، ونُعلنُ مُبرِّرينَ من الله. ثمَّ يُخبرنا بولس لاحقاً أنَّ الله هو الذي يُبرِّر (٨ : ٣٣).

تجدُرُ الملاحظة أنَّ هناك مجموعة مؤلفة من بضع كلماتٍ نجدُها مائة وخمسين مرَّةً في الكتاب المقدس، عندما يُعلِّمُ مفهومُ التبرير. إنَّ هذه الكلمات هي "في عينيه." هناك بُعدٌ عاموديٌّ وبعْدٌ أفقيٌّ مُرتبطان بالتبرير. فإذا ارتكبنا جريمة، بإمكاننا أن نُعلنَ مُبرِّرينَ في عيني الله بالإيمان، بالإعتراف، وبالتوبة، ولكننا لن ننجو من السجن، لأننا لم نُبرِّرَ في عيني المجتمع، أو في البعد الأفقيِّ أمام الإنسان.

عندما تحدثُ محاكمةُ أمامٍ قاضٍ وبدون لجنةٍ تحكيم، أولئك الذين يحضرون هذه المحاكمة قد يظنون أنَّ المُتَّهَمَ هو شخصٌ رائع، ولكن إذا ظنَّ القاضي أنَّ هذا الشخص مُذنبٌ، فإنَّ هذا الشخص سوف يُزجُّ في السجن، أو يواجهُ عقوبةَ الإعدام. وقد يظنُّ الحضورُ أنَّ المُتَّهَمَ هو شخصٌ رديء، ولكن إذا اعتقدَ القاضي أنَّ المُتَّهَمَ بريءٌ، فسيتمُّ

إطلاق سراحه. بنفس الطريقة، يوماً ما سوف ندرِكُ أنَّ ما يهْمُ فعلاً هو ما يراه دِيَانُ كُلِّ الأرض حول الذنبِ أو البراءة. لهذا من الرائع أن نعلمَ أنَّنا نتبرَّرُ وكأنَّنا لم نُخطئِ أصلاً. الإصحاحاتُ الأربعة التالية تتحدثُ عَنِ التبريرِ بالعلاقةِ مع الشخصِ الذي نالَ التبريرِ بالإيمان. فاللهُ يتوقَّعُ مِنَّا أن نتبَنَّى الصلاح، أن نُصبحَ صالحين وأن نعملَ الصلاح عندما يُعلنُ لنا أنَّنا أصبحنا أبراراً (١ يوحنا ٣: ٧). في الإصحاحات الأربعة التالية من هذه الرسالة (٥ - ٨)، يُعالِجُ بُولُسُ الصِّراعات التي يجتازها الشخص الذي يُعلنُ باراً، إذ يجدُ القُوَّةَ في الرُّوحِ القدسِ ليعيشَ حياةَ البرِّ.

في الإصحاحات الثلاثة التالية (٩ - ١١)، يُظهرُ بُولُسُ علاقةَ التبريرِ بالعالمِ أجمعٍ وخاصةً بشعبِ الله القديم. هذه ثلاثةٌ من أهمِّ إصحاحاتِ الكتاب المقدسِ حولَ موضوعِ النُبُوَّةِ الكِتَابِيَّةِ. ففي هذه الإصحاحات الثلاثة، يتنبأُ بُولُسُ أنَّ شعبَ الله القديمِ إسرائيلَ سيتورطُ بما يحدثُ في العالمِ.

فبالنسبةِ لبُولُسِ، إنَّ شعبَ إسرائيلَ كانوا شعبَ الله المختار. وهم أعظمُ إيضاحِ كِتَابِيٍّ عن عقيدةِ الإختيار - أي التعليمِ أنَّ اللهَ يختارُ شعباً للخلاص. ولكن، في هذه الإصحاحاتِ الثلاث، يكتبُ بُولُسُ قائلاً أنَّ اليهودَ هم أعظمُ إيضاحِ في الكتاب المقدسِ عن حقيقةِ أنَّ اللهَ خلقَ الإنسانَ ليكونَ خَلِيقَةً تتخذُ خيارات. يُشدِّدُ بُولُسُ على هذه النقطةِ عندما يُخبرنا أنَّ اليهودَ اختاروا أن لا يعودوا شعبَ الله المختار، وذلكَ برفضهم يسوعَ المسيحِ وخلاصه.

وهكذا يُخبرنا بولس أنه من أجل معاقبة اليهود بسبب رفضهم المسيح، توجهَ اللهُ إلى غير اليهود، إلى الأمم الأخرى، وصارَ يُخلِّصُ الشعوبَ غير اليهودية، منذُ أن رفضَ اليهودُ يسوعَ المسيح. وعندما يُخلِّصُ الربُّ الأممَ بما يكفي لتأديب اليهود بسبب رفضهم، سيعود اللهُ ثانية إلى اليهود و"سيخلص جميع إسرائيل" (رُومية ١١: ٢٦).

لقد شهدنا تحقُّقَ نُبُوَّةِ العهدِ القديمِ عن عودة اليهود الجُغرافيَّةِ من شتاتِ الأرض ليكوُنوا أُمَّةً. هُنَا يَصُمُّ بُولُسُ صَوْتَهُ إلى أنبياءِ العهدِ القديمِ، إذ يتنبأُ عن عودةِ اليهودِ الرُّوحِيَّةِ إلى الله. هذه العودةُ الرُّوحِيَّةِ التي هي الأكثرُ أهميَّةً بنظرِ الله، لم تحدثْ بعد. في

هذه الإصحاحات الثلاثة، يُرِينَا بُولُسَ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا سِيخْتَبِرُونَ هَذِهِ الْعُودَةَ الرُّوحِيَّةَ إِلَى اللَّهِ، سَوْفَ يُحَقِّقُ اللَّهُ خُطَّةَ التَّوْبَةِ مِنْ خِلَالِهِمْ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ.

الإصحاحات الأربعة الأخيرة (١٢ - ١٦) هي القسم التطبيقي العملي من هذه الرسالة الرائعة. إنَّ كُلَّ رِسَالَةٍ مِنْ رِسَائِلِ بُولُسِ الرُّسُولِ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ. أَوَّلًا، لَدَيْكُمْ الجزء التعليمي من الرسالة، وفيما بعد يأتي الجزء التطبيقي من الرسالة. دائماً فَتَشُوا عَنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ التَّعْلِيمِيِّ وَالتَّطْبِيقِيِّ فِي رِسَائِلِ بُولُسِ.

رُغْمَ أَنَّ الإصحاحات الأحد عشر الأولى من هذه الرسالة هي أعظم تصريح عن الإنجيل الذي إَسْتَوَدَعَهُ بُولُسُ فِي يَدَيِ الْكَنِيسَةِ، وَأَنَّ الإصحاحات الثلاثة التالية هي أصعب التصريحات اللاهوتية والنبوية عن فهم الإنسان، إلا أنَّ الإصحاحات الأربعة الأخيرة هي أكثر تطبيقات بُولُسِ عَمَلَانِيَّةً وَبَسَاطَةً عَنْ حَقِيقَةِ الْإِنْجِيلِ الَّتِي نَكْتَشِفُهَا فِي رِسَائِلِهِ الْمُوحَاةِ.

الفصل الثاني

"كما كان - هكذا الآن"

الإصحاح الأول من رسالة بُولُسِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةٍ هُوَ مِثْلُ الإصحاح الأول من سفر التكوين. فالأسفار المقدسة التي تُعَالِجُ الْبِدَايَاتِ، لَا تُخْبِرُنَا عَنِ الْأُمُورِ كَمَا كَانَتْ، بَلْ تُخْبِرُنَا كَيْفَ يُرِيدُهَا اللَّهُ أَنْ تَكُونَ الْيَوْمَ. إِذْ يَتَعَاطَى بُولُسُ مَعَ مَفْهُومِ التَّوْبَةِ لِلخَطِيئَةِ، وَبَعْدَ أَنْ يُقَدِّمَ التُّقْطَةَ أَنَّنَا جَمِيعًا خُطَاةٌ، نُقْطِئُهُ التَّالِيَةَ هِيَ أَنَّنَا جَمِيعًا تَحْتَ دِينُونَةِ اللَّهِ.

ثُمَّ يُقَدِّمُ بُولُسُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْإِنْسَانِ "كَمَا كَانَتْ وَكَمَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ." اللَّهُ يَتَّهَمُنَا أَنَّنَا نَكْبِتُ أَوْ نَطْمُسُ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ (رُومِيَّةِ ١ : ١٨). يَعْنِي بِهَذَا أَنَّ الْخُطَاةَ يُلْعُونَ الْحَقِيقَةَ عَنْ قَصْدٍ، لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَرِّرُوا حَيَاتَهُمُ الْآثِمَةَ. فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْا الْحَقِيقَةَ عَنْ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشُوا حَيَاتَهُمْ كَمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَلِّنَهَا لَهُمْ. لَقَدْ عَلَّمَ يَسُوعُ مَبْدَأَ أَنَّهُ إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ فَسَيَعْلَمُ (يُوحَنَّا ٧ : ١٧). وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ. فَإِنْ لَمْ يُرِدْ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ، فَلَنْ يَعْلَمَ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَ.

ثُمَّ يُوجِّهُ اللَّهُ تَهُمَا أُخْرَى: غير شكورين؛ استبدلوا حقَّ الله بالكذب؛ اتقوا وعبدوا المخلوقَ دُونَ الخَالِقِ؛ استبدلوا الطبيعيَّ بغير الطبيعي (الشُّذُوذُ الجِنْسِي)؛ لم يستحسنوا أن يُيقُوا اللهَ في معرفتهم؛ الذين لا يفعلون الخطيئةَ فقط، بل أيضا يُسرُّون بالذين يعملونها. ثمَّ يُخْبِرُنَا بُولْسُ عَنْ رَدِّ اللهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَيُرَدِّدُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ: "لِذَلِكَ أَسَلَمَهُمُ اللهُ" (رُومِيَّةُ ١: ٢٤، ٢٦، ٢٨). وَهُوَ لَا يَقْصِدُ أَنَّ اللهَ فَقَدَ الْأَمَلَ مِنَ الْإِنْسَانِ آنَذَاكَ، أَوْ أَنَّ اللهَ يَفْقَدُ الْأَمَلَ مِنَّا الْيَوْمَ. لَقَدْ أَسَلَمَهُمُ اللهُ، وَهُوَ يُسَلِّمُنَا الْيَوْمَ لِمَا تُرِيدُهُ. فَاللهُ لَنْ يَنْتَهِكَ حُرْمَةَ حَقِيقَةِ أَنَّهُ خَلَقَنَا لِنَكُونَ خَلَائِقَ حُرَّةَ الْإِخْتِيَارِ.

دَعُونَا نَفَكِّرُ بِحَيَاتِنَا ككِتَابٍ. إِنَّهَا فِكْرَةٌ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ هَذَا الْكِتَابَ، وَلَدَيْهِ خُطَّةٌ حِيَالِ هَذَا الْكِتَابِ فِي حَالِ كِتَابٍ. وَلَكِنَّهُ يُسَلِّمُنَا الْقَلَمَ فِي مَرَحَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَيَقُولُ، "هُنَا، عَلَيْكُمْ أَنْ تَخْتُمُوا الْقِصَّةَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تُحِبُّونَهَا. عَلَيْكُمْ أَنْ تَعِيشُوا مَعَ عَوَاقِبِ خِيَارَاتِكُمْ، وَلَكِنْ بِإِمْكَانِكُمْ أَنْ تَكْتُبُوا الْقِصَّةَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تُرِيدُونَهَا، إِنْ كَانَ هَذَا مَا تَرْغَبُونَ بِهِ."

شَخْصِيَّةُ الْإِنْسَانِ - كَمَا كَانَ - وَكَمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ

يُقَدِّمُ بُولْسُ وَصْفًا مَأْسَاوِيًّا لِمَا يَحْدُثُ لِأَوْلَائِكَ الَّذِي يَقَرَّرُونَ أَنْ يَخْتُمُوا قِصَّةَ حَيَاتِهِمْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ. فَهُوَ يَكْتُبُ أَنَّهُ عِنْدَمَا يُسَلِّمُهُمُ اللهُ، يَحْمُقُونَ فِي أَفْكَارِهِمْ، وَيُظَلِّمُ قَلْبَهُمُ الْعَبِيَّ. ثُمَّ يَلْخِصُّ حَيَاتَهُمُ الْمَأْسَاوِيَّةَ فَقَطْ بِكَلِمَتَيْنِ: "الْكُلُّ آثِمٌ." وَبَيْنَمَا يَصِفُ اللهُ إِيَّاهُمْ، يُعْطِينَا صُورَةً وَاقِعِيَّةً عَنِ شَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ، كَمَا كَانَ، وَكَمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ (٢٩ - ٣٢). إِنَّ هَذِهِ اللَّائِحَةُ الْمَأْسَاوِيَّةَ الْمُطَوَّلَةَ مِنَ الْخَطِيئَةِ تُبْرِهِنُ مَا قَصَدَهُ إِشْعِيَاءُ عِنْدَمَا كَتَبَ أَنَّنَا كُلَّنَا كَعَنَمٍ ضَلَلْنَا، مَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طَرِيقِهِ (إِشْعِيَاءُ ٥٣: ٦).

شَخْصِيَّةُ اللهِ - كَمَا كَانَ - وَكَمَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ

يَبْدَأُ بُولْسُ بَتَبْيَانِ الْحُجَّةِ الرَّائِعَةِ لِهَذِهِ الرَّسَالَةِ بَيْنَمَا يُشَارِكُ بِهَذِهِ الْأَفْكَارِ الْمُوحَى بِهَا حِيَالِ شَخْصِيَّتِنَا. يَنْتَقِلُ مِنْ شَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ إِلَى شَخْصِيَّةِ اللهِ عِنْدَمَا يُخْبِرُنَا أَنَّ اللهَ بَارٌّ، وَأَنَّ بَرَّ اللهِ أَيْضًا يُعْلِنُ غَضَبَ اللهِ تَجَاهَ الْإِثْمِ (رُومِيَّةُ ١: ١٧). بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، اللهُ هُوَ الْمِعْيَارُ الْكَامِلُ الْمُطْلَقُ لِمَا هُوَ صَوَابٌ، وَاللهُ يَطْلُبُ مِنْ خَلِيقَتِهِ أَنْ يَكُونُوا أَبْرَارًا. إِنَّ اللهَ يَدِينُ الْإِثْمَ فِي خَلِيقَتِهِ.

صِفَتَانِ مِنْ شَخْصِيَّةِ اللَّهِ نَجْدُهُمَا يُعْلَنَانِ فِي هَذَا الْعَدَدِ الْمِفْتَاحِيِّ: بَرَّ اللَّهُ وَغَضَبَ اللَّهُ. وَهَكَذَا يَبْدَأُ بُولُسُ بِنِإَاءِ حُجَّتِهِ. يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ لَيْسَ فَقَطْ مُشْكِلَةً شَخْصِيَّتَيْنَا. فَلَدِينَا مُشْكِلَةٌ بِسَبَبِ شَخْصِيَّةِ اللَّهِ. فَحَنُّ لَسْنَا فَقَطْ خُطَاةَ، بَلْ نَحْنُ خُطَاةٌ مُدَانُونَ. لَدِينَا مُشْكِلَتَانِ لَا نَسْتَطِيعُ حَلَّهُمَا. الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ هِيَ أَنَّ اللَّهَ وَجَدَ حَلًّا لِمَشَاكِلِنَا هَذِهِ.

بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ إِشْعِيَاءُ الْأَخْبَارَ الْمُحْزِنَةَ أَنَّنَا جَمِيعًا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ طَرِيقِهِ، بَشَّرَ بِالْأَخْبَارِ السَّارَّةِ أَنَّ "الرَّبَّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا." (إِشْعِيَاءُ ٥٣ : ٦) هَذَا أَيْضًا مَا عَمَلَهُ بُولُسُ فِي تَصْرِيحِهِ هَذَا عَنِ الْإِنْجِيلِ.

يُمْكِنُ تَعْرِيفُ غَضَبِ اللَّهِ بِكَوْنِهِ "مَوْقِفَ الْقَدَاسَةِ الْمُسْتَمِرِّ وَالْمُتَنَاسِقِ تَجَاهَ مَا هُوَ غَيْرُ مُقَدَّسٍ." أَوْ "الْمَوْقِفَ الْمُسْتَمِرِّ وَالْمُتَنَاسِقِ مِنْ إِلَهٍ مُحِبِّ تَجَاهَ مَا يُدْمِرُ مَوْضُوعَ حُبِّهِ." نُخْبِرُنَا الْأَسْفَارُ الْمُقَدَّسَةُ أَنَّ الْحُبَّ هِيَ جَوْهَرُ اللَّهِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَتَعَرَّضُ أَوْلَاكَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ لِلْخَطَرِ، وَعِنْدَمَا يَكُونُونَ عَلَى وَشَكِّ أَنْ يَتَحَطَّمُوا بِالْخَطِيئَةِ، فَإِنَّ إِلَهَنَا الْمُحِبِّ هُوَ أَيْضًا قَادِرٌ عَلَى الْغَضَبِ. فَاللَّهُ يَكْرَهُ وَيَدِينُ الْخَطِيئَةَ لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ تُدْمِرُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ.

الفصل الثالث

"أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ وَأَرْبَعَةُ نَوَامِيسٍ"

يُلَخِّصُ بُولُسُ حُجَّةَ إِصْحَاحَاتِهِ الْأَرْبَعَةَ الْأُولَى فِي الْعَدَدِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِصْحَاحِ الْخَامِسِ حَيْثُ يَقُولُ: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ، لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ." إِذْ يُقَدِّمُ بُولُسُ ثَانِيًا أَرْبَعَةَ إِصْحَاحَاتٍ مِنَ الْقَضِيَّةِ الَّتِي يَطْرَحُهَا، يُتَابِعُ الْقَوْلَ فِي الْعَدَدِ التَّالِي: "الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللَّهِ." (رُومِيَّةُ ٥ : ١، ٢) فَيَأْمَنُنَا بِصَلِيبِ الْمَسِيحِ يُبْرِئُنَا وَيُعْطِينَا سَلَامًا مَعَ اللَّهِ. وَالْإِيمَانُ أَيْضًا وَصُولًا إِلَى النِّعْمَةِ الَّتِي تُمْكِّنُنَا مِنَ الْوُقُوفِ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَأَنْ نَحْيَا حَيَاةً تُرْفَعُ يَسُوعَ وَتُجَدُّ اللَّهُ.

أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ

الآن وقد تبررنا بالإيمان، كيف نعيش كأناس أعلنوا أبراراً؟ يبدأ بولس جوابه على هذا السؤال بتعليمٍ يُمكنُ تسميته "الملوك الأربعة." (٥: ١٢ - ٢١) بإمكاننا أن نسمي الملك الأول "الملك الخطية". نقرأ أن الملك خطية دخل هذا العالم و"تكاثر" أو "انتشر إلى كل الناس." (١٢) لقد تجنّب بولس الدخول في جدلٍ فلسفي حول كيف أو لماذا دخلت الخطية إلى العالم. بل كتب ببساطة أن الخطية دخلت، تكاثرت، وسادت.

ثمّ جاء الملك موت مباشرةً بعد الملك خطية. يُخبرنا بولس لاحقاً أن، "أجرة الخطية هي موت." (٦: ٢٣). الخطية دائماً لها عواقبها، وهذه العواقب غير حميدة أبداً. إحدى هذه العواقب هي حرفياً الموت. فالموت هو أيضاً صورةً مجازياً تعني أن الخطية تقتضي دائماً أجرةً رهيبه. عاجلاً أم آجلاً سوف نجلس جميعاً على مائدة عواقب خطايانا. فالملك موت دائماً يتبع الملك الخطية.

الملكان الأولان هم الأخبار السيئة، أمّا الملكان التاليان فهما الأخبار السارة. بحسب بولس، هناك ملك آخر دخل وتكاثر وساد في الحياة، واسمه يسوع المسيح. فالملك يسوع غلب الملك خطية على الصليب، وغلب الملك موت عندما قام من الموت.

ثمّ لدى بولس المزيد من الأخبار السارة. فالملك الرابع هو الملك أنت. بالإيمان، تستطيع أن تدخل الحياة في المسيح. بإمكانك أن تفيض في المسيح بالإيمان. وأولئك الذين يدخلون إلى الحياة في المسيح، ويقبلون بالنعمة والإيمان عطية البر، سوف "يملكون في الحياة بالواحد، يسوع المسيح." بكلماتٍ أخرى، من الممكن لك ولي أن ندخل بالإيمان إلى المسيح، بطريقة تجعلنا نملك في الحياة من خلاله (٥: ١٧). قال يسوع المسيح، "جئت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل." (يوحنا ١٠: ١٠). يُخبرنا بولس ببساطة كيف ندخل إلى هذه الحياة القيّضة في المسيح.

إن هؤلاء الملوك الأربعة هم غالبون. لا نستطيع أن نتعايش مع الخطية، تماماً كما لا نستطيع التعايش مع السرطان الخبيث. فالخطية ستغلبنا بإرسالها الملك موت. ولكن عندما ندخل بالإيمان والنعمة إلى حياة فيّاضة في المسيح، سوف نكون غالبين على الخطية وفيّاضين بالحياة. عندما يختم بولس هذا الجزء من حجته في الإصحاح الثامن، يعلن أنه بإمكاننا أن نكون أعظم من مُنتصرين على الخطية وفي الحياة (٨: ٣٧).

أربعة نواميس

إنَّ الصُّورَةَ المِجَازِيَّةَ عَنِ المُلُوكِ الأربعة تبدأ حُجَّةَ المِجْمُوعَةِ الثَّانِيَّةِ مِنَ الإِصْحَاحَاتِ الأربعة مِنَ الرِّسَالَةِ. هؤُلاءِ المُلُوكِ الأربعة يُحَضِّرُونَنَا لِنَسْمَعَ عَنِ النِّوَامِيسِ الرُّوحِيَّةِ الأربعة الَّتِي يُبْرِزُهَا بُولُسُ فِي آخِرِ إِصْحَاحَيْنِ مِنَ هَذَا القِسْمِ الثَّانِي (٥ - ٨). فَإِنَّ كُنَّا سَنَتَعَلَّمُ كَيْفَ نَكُونُ مُنْتَصِرِينَ فِي المَسِيحِ، عَلَيْنَا بِبَسَاطَةٍ أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ النِّوَامِيسِ الرُّوحِيَّةِ الأربعة.

النَّامُوسُ الأوَّلُ هُوَ "نَامُوسُ اللهِ". (٧ : ١ - ٦) إِنَّ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ. فَالإِيْمَانُ يَأْتِي بِسَمَاعِ كَلِمَةِ اللهِ، وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ البِذْرَةُ غَيْرِ القَابِلَةِ لِلفَسَادِ، وَالَّتِي تُوَلِّدُ حَيَاةً رُوحِيَّةً فِينَا (رُومِيَّة ١٠ : ١٧ ؛ ١ بطْرُس ١ : ٢٢ ، ٢٣).

إِنَّ نَامُوسَ اللهِ يُظْهِرُ بوضوح الناموسَ الرُّوحِي الثَّانِي، الَّذِي هُوَ، "نَامُوسُ الخَطِيئَةِ وَالمَوْتِ". إِنَّ هَذَا النَامُوسَ الرُّوحِي الثَّانِي هُوَ ذَلِكَ النَامُوسَ الرُّوحِي المَطْلُوقِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ إنْكَارَهُ، أَنَّ الخَطِيئَةَ دَائِمًا لَهَا عَوَاقِبُهَا (٧ : ٧ - ٢٥). بِحَسَبِ يَعْقُوبَ، إِنَّ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ مِثْلُ مِرَاةٍ (يعقوب ١ : ٢٣). إِنَّ عَمَلَ المِرَاةِ هُوَ أَنْ تُظْهِرَ لَنَا الشَّوَابِغَ فِي مِظْهَرِنَا، لِكَيْ نُصَحِّحَهَا قَبْلَ أَنْ نَخْرُجَ إِلَى الخَارِجِ وَنُقَابِلَ النَّاسَ. بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّ كَلِمَةَ اللهِ تُظْهِرُ لَنَا الخَطِيئَةَ فِي حَيَاتِنَا، لِكَيْ نَنْتَصِرَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الآخَرِينَ. فَحَتَّى وَلَوْ لَمْ يَكُنِ النَّظَرُ إِلَى المِرَاةِ يُرْضِينَا، وَلَكِنْ كَمِ وَاحِدٍ مِمَّا يَتَخَلَّصُونَ مِنْ كُلِّ مِرَاةٍ فِي المِتْرَلِ؟

وَكَأَنَّ مَعَ المُلُوكِ الأربعة، أوَّلُ نَامُوسَيْنِ رُوحِيَّيْنِ يُعْلِنَانِ الأَخْبَارَ السَّيِّئَةَ، أَمَّا النَامُوسُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ فَيُعْلِنَانِ الأَخْبَارَ السَّارَّةَ. يُسَمَّى بُولُسُ نَامُوسَهُ الرُّوحِي الثَّالِثَ "نَامُوسَ رُوحِ الحَيَاةِ فِي المَسِيحِ". (٨ : ١ - ٤) يُعْلِنُ لَنَا الأَخْبَارَ السَّارَّةَ أَنَّ هَذَا النَامُوسَ قَادِرٌ أَنْ يُحَرِّرَنَا مِنَ "نَامُوسِ الخَطِيئَةِ وَالمَوْتِ".

تَمَامًا كَمَا أَنَّ قَانُونَ الطَّيْرَانِ النَّفَّاثِ Aerodynamics يَغْلِبُ قَانُونَ الجاذبيَّةِ، وَيُمَكِّنُ طَائِرَةَ الرُّكَّابِ الضَّخْمَةَ مِنْ أَنْ تُقَلِّعَ مِنْ مَدْرَجِ الطَّيْرَانِ وَتُحَلِّقَ، كَذَلِكَ "نَامُوسُ رُوحِ الحَيَاةِ فِي المَسِيحِ" هُوَ نَامُوسٌ أَوْ قَانُونَ "الطَّيْرَانِ النَّفَّاثِ الرُّوحِي" الَّذِي يُمَكِّنُنَا مِنَ التَّحَلِّقِ وَالإِرْتِفَاعِ فَوْقَ "نَامُوسِ الخَطِيئَةِ وَالمَوْتِ".

إن كان هذا صحيحاً وهو كذلك، فلماذا يقضي الكثيرون منا روحياً وقتاً طويلاً
وكأننا نقود طائرات مزودة بمحركات جبارة، ولكننا لا نُقلع ولا نُحلّق ولا نظير؟ فحتّى
ولو قبلنا الروح القدس، فلماذا لا نرتفع ونتعلّب على "ناموس الخطيئة والموت؟"
إنّ الجواب على هذا السؤال يُقدّمنا إلى الناموس الروحي الرابع، الذي هو "ناموس
العقلية الروحية". كتب بولس يقول: "فإنّ الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون
ولكنّ الذين حسب الروح فيما للروح. لأنّ إهتمام الجسد هو موت ولكنّ إهتمام الروح
هو حياة وسلام." (٨: ٥ - ٨) إن كُنّا لا نتخطّى "ناموس الخطيئة والموت" في حياتنا،
فهذا لأننا جعلنا عقلية "الإهتمام بالجسد" تتحكّم بنا.

إحدى أعمق تعاليم يسوع يُمكن تسميتها "ناموس العقلية الروحية". لقد علّم
يسوع أنّ الفرق بين حياة مملوءة بالسعادة وحياة مملوءة بالحزن هو الطريقة التي نرى بها
الأمر (متّى ٦: ٢٢، ٢٣). فالقادة الروحيون والأبطال الرياضيون والقادة والدبلوماسيون
في أعمال العالم، يُعلّقون أولوية كبرى على أهمية حيازة العقلية أو الذهنية الصحيحة.
تأمل بروح الصلاة بهذه النواميس أو المبادئ الروحية الأربعة. ثمّ، إسأل نفسك
هذا السؤال: ما هي ذهنيّة أو طريقة تفكيري اليوم؟ "إنّ ناموس العقلية الروحية" بإمكانه
أن يُحدّد أيّ مبدأ أو ناموس سيسود في حياتك: "ناموس روح الحياة في المسيح"، أو
"ناموس الخطيئة والموت."

الفصل الرابع

"كُلُّ الأشياء"

"يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرفه عن
الإستقصاء. لأنّ من عرف فكر الربّ أو من صار له مُشيراً. أو من سبق فأعطاه فيكافأ.
لأنّ منه وبه وله كُلُّ الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين. (رومية ١١: ٣٣ - ٣٦)
هذه هي بركة التمجيد التي بها يُحْتَمُّ بولس هذا المقطع التعليمي اللاهوتيّ المجيد. في
مقطع التمجيد هذا، يُعلن بولس أنّ الله هو مصدرُ كُلِّ الأشياء، والقوّة الكامنة وراء كُلِّ
الأشياء، وأنّ مجده هو القصد من كُلِّ الأشياء. إنّه يَستَخدمُ هاتين الكلمتين "كُلُّ الأشياء"

غالباً معاً، ولكنّه لا يستخدمها أبداً بِخِيفَة (رُومِيَة ٨ : ٢٨ ؛ ٢ كُورِنْثُوس ٩ : ٨). فإِلام يُشيرُ بُولُسُ بالتحديد عندما يَضَعُ هَاتَيْنِ الكَلِمَتَيْنِ معاً في هذا مقطعِ التمجيدِ هذا.

لقد سبقَ وإقترحَ عليكم أن تقسمُوا إصحاحات هذه الرسالة الستة عشر إلى أربعة أقسام، بينما تُحاولونَ بَرُوحِ الصلاة أن تُميزُوا حُجَّةَ هذه الرِّسالة. أمَّا الآن فأطلبُ منكم أن تنسوا قضيَّةَ الإصحاحات والأعداد، وأن تُحاولوا أن تفهمُوا حُجَّةَ بُولُسِ الرُّسُولِ الأساسِيَّةَ في هذه الرسالة. فالإصحاحات والأعداد لم يتمَّ إضافتها إلى الأسفارِ المقدَّسة حتى القرنِ الثالثِ عشر. أحياناً، قد تُشَوِّشُنَا تقسيماتُ السفرِ إلى إصحاحات عن إدراكِ المنطقِ الموحى في سفرٍ مُعيَّنٍ من أسفارِ الكتابِ المقدَّسِ.

بدأ بُولُسُ بالتحضيرِ لإستخدامِهِ للكلمتين "كُلُّ الأشياءِ" في مقطعِ التمجيدِ هذا، عندما إنتهى من إخبارنا عن هذه المبادئِ الرُّوحِيَّةِ الأربعة (٨ : ١٣). ثُمَّ أعطى لَمِحَةً عن كيفَ يَصِلُ بنا اللهُ إلى الخلاصِ. إنَّ النقطةَ التي شدَّدَ عليها هنا هي أنَّ اللهُ هُوَ المُحرِّكُ الأوَّلُ خلفَ كُلِّ الأشياءِ التي تحدثُ لنا خِلالَ عمليَّةِ الخلاصِ. كتبَ يقولُ: "لأنَّ الذين سبقَ فعرفَهُم سبقَ فعينَهُم لِيَكُونُوا مُشابهينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بَكَراً بينَ إخوةٍ كثيرينَ. والذي سبقَ فعينَهُم فهؤلاءِ دعاهمُ أيضاً. والذين دعاهمُ فهؤلاءِ برَّرهُم أيضاً. والذين برَّرهُم فهؤلاءِ جَدَّهَمُ أيضاً." (رُومِيَة ٨ : ٢٩ ، ٣٠).

ثُمَّ يَصِلُ بنا هذا المقطعُ إلى تمجيدِ عظيمِ اللهِ نفسه. أعلنَ بُولُسُ الرُّسُولُ أنَّ اللهُ هُوَ في أولئك الذين قبلوه. واللهُ هُوَ معَ أولئك الذين يمشونَ في الطاعةِ، واللهُ هُوَ لأجلِ أولئك المدعوِّينَ بِحَسَبِ خُطْبَتِهِ. وإنَّ كانَ اللهُ فينا، معنا، ولنا، فمنَ علينا، ومنَ سيفصلنا عن محبَّتِهِ؟ ثُمَّ يَحْتَمُ بُولُسُ هذا الإصحاحِ الثامنِ بمقطعِ التمجيدِ الذي يُجيبُ على هذه الأَسئلةِ. أنقلوا هذه الأفكارَ الموحاةَ والمُلهمةَ معكم إلى الإصحاحِ التاسعِ، حيثُ سيُوسِّعُ بُولُسُ كلمةً إستخدمها في المقطعِ الذي إستشهدنا به أعلاه. هذه الكلمة هي، "مُعَيَّنِينَ سابقاً". إنَّ توسيعَ بُولُسِ لهذا المفهومِ الذي يُسمَّى "الإختيار" يجعلُ من هذا الإصحاحِ أحدَ أصعبِ وأغنى إصحاحاتِ الكتابِ المقدَّسِ.

لقد كانَ الإيضاحُ الذي إستخدمه بُولُسُ هُوَ التوأمَانِ - عيسُو ويعقوبُ - في رَحِمِ أُمَّهَما. فقبلَ أن يفعلَ أيُّ طفلٍ منهما خيراً أم شراً، قالَ اللهُ، "أحببتُ يعقوبَ

وأبغضتُ عيسو،" "والكبيرُ يُستَعَبَدُ للصغير." (رومية ٩ : ١٢ ، ١٣). لقد كانَ لدى الله حُطَّةً ومَصِيرٌ لكلِّ منهما قبلَ أن يُولدَا.

لقد اقترحَ أحدُ أفضلِ المُفسِّرينَ بأنَّ هذا التعليمَ ينبغي أن يُحفظَ كَسِرِّ عَائِلَةٍ بينَ المؤمنين. فعلينا أن لا نتوقَّعَ من أولئك الذي لم يأتوا بعد إلى الإيمان ولم يقبلوا الرُّوحَ القدسَ أن يفهموا ويقبلوا هذا التعليمَ. لا بل إنَّ هذا التعليمَ صعبٌ على الكثير من المؤمنين، لأنَّه يجعلُ اللهَ يبدو وكأنَّه غيرَ عادِلٍ، خاصَّةً بالنسبةِ لِغَيْرِ المُختارينِ.

عندما يكتشفُ الكثيرُ من المؤمنين هذا التعليمَ أولاً في كلمةِ الله، غالباً ما تكونُ ردةُ فعلهم الأساسيةُ أنَّه لا يمكنُ أن يكونَ هذا صحيحاً. إن جوابَ الرسولِ على هذا النوعِ من التفكيرِ هو أنَّه يضعُ أمامنا التحدِّيَ لنقرأَ العهدَ القديمَ. أحدُ أقصرِ الأشعارِ التي سبقَ لي وقرأتها هو: "ما أغربَ أن يختارَ اللهَ اليهود."

بمعنى ما، يُعتبرُ العهدُ القديمُ بأكملهٍ إيضاحاً عن هذا التعليمِ عن الإختيارِ. فمن بينِ كُلِّ أُمَّمِ التاريخِ القديمِ، اختارَ اللهُ آنذاكَ بني إسرائيلَ. وكما أشرتُ سابقاً، فإنَّ هذه الإصحاحات الثلاثة (٩ - ١١) تُشيرُ أيضاً إلى نقيضِ الإختيارِ، لأنَّ شعبَ إسرائيلَ اختارَ في الماضي، ولا يزالُ يختارُ اليومَ، أن لا يكونَ مُختاراً بل مرفوضاً، وذلكَ لرفضِهِ المسيحَ. يُخبرنا اللهُ من خلالِ النبيِّ إشعياءَ أنَّه علينا أن لا نُحاولَ أن نفهمَ أفكارَهُ وطُرُقَهُ. فهو يُنبئنا أنَّ طريقةَ تفكيرِهِ وعملِهِ مُختلفةٌ تماماً عن طريقتنا وتفكيرنا وعمَلنا، كما ترتفعُ السماواتُ عن الأرضِ. (إشعياء ٥٥ : ٨ ، ٩).

وبينما يُقدِّمُ بولسُ هذا التعليمَ، يتحدَّثنا ببضعَةِ أسئلةٍ مثل: "بل من أنتِ أيُّها الإنسانُ الذي [تسألُ اللهُ لماذا خلَقَ من نفسِ جبلةِ الطينِ موسى وفرعون]؟ أعلَّ الجبلةُ تقولُ لجابِلها لماذا صنعتني هكذا؟" (رومية ٩ : ٢٠ ، ٢١). إنَّه يُقدِّمُ أيضاً التفسيرَ أنَّ الإختيارَ ليسَ القضيةَ الأساسيةَ. فإنَّ كُنَّا مُختارينَ للخلاصِ، فالقضيةُ الحقيقيةُ هي أنَّنا مُخلَّصينَ بالنعمةِ، وليسَ لأيِّ إنجازٍ حقَّقناه نتيجةً لمجهوداتنا (رومية ٩ : ١١).

إنَّ مقطعَ التمجيدِ الذي بدأتُ معهُ هذا الفصلَ، والذي بهِ يَحْتُمُ بولسُ تصرِيحَهُ العقائديَّ لهذه التحفةِ اللاهوتيةِ، هو الطريقةُ الوحيدةُ التي بها نستطيعُ أن نتجاوَبَ معَ كُلِّ ما شاركنا بهِ بولسُ، بما في ذلكَ تعلمي الإختيارِ. يُدكِّرنا بولسُ هنا في هذا المقطعِ

التمجيدى أن الله لم يَحْتَجْ أحداً منّا ليكونَ له مُشيراً، عندما قرَّرَ كيفَ سيعمَلُ كُلُّ ما قصدهُ بولس عندما كانَ يُخبرنا عن كونِ اللهِ مصدرَ كُلِّ شيءٍ، والقُوَّة الكامنة وراءَ كُلِّ شيءٍ، والهدف المقصود من كُلِّ شيءٍ.

الفصلُ الخامسُ

"ماذا بعد؟"

أرجو أن تنقلوا معكم حقيقةَ هذا المقطع التمجيدى إلى الإصحاح الثاني عشر. عندما يستخدِم بولس حرف "ف"، علينا دائماً أن نتساءلَ عن سبب وجودِ هذا الحرف. هناك نصيحةٌ حكيمةٌ سمعناها منذُ أكثر من خمسين سنةً، تُساعدنا على إقْتفاءِ الحجَّة المنطقيَّة عندَ هذا الرسول. إنَّ هذا يتعلَّق أيضاً بالطريقة التي غالباً ما يبدأ بها بولس المقاطعَ التطبيقيةَ في رسائله. فإذا بدأ بتطبيق الحقيقة التي شاركها معنا في هذه الرسالة، يقصدُ من استخدامه لهذا الحرف أن يُعيدنا إلى بدايةِ حُجَّتِهِ في أوَّلِ الرسالة (رُومية ١ : ١٧).

"فأطلبُ إليكم أيُّها الاخوة برأفةِ الله أن تُقدِّموا أجسادكم ذبيحةً حيةً مقدسةً مرضيةً عندَ الله عبادتكم العقلية. ولا تُشاكلوا هذا الدهر. بل تُغيِّروا عنْ شكلِكُم بتجديدِ أذهانِكُم، لتختبروا ما هي إرادةُ الله الصالحة المرضية الكاملة". (رُومية ١٢ : ١، ٢)

يعتقدُ الكثيرونَ أنَّهم إذا سلَّموا أنفسهم لله، فإنَّ إرادةَ الله سوفَ تقودهم إلى أسوأ مكانٍ يُمكنهم تصوُّره. ولكنَّ بولس يُخبرنا أنَّ إرادةَ الله صالحةٌ وكاملةٌ (العدد ٢). فكيفَ بإمكاننا أن نعرفَ إرادةَ الله لحياتنا. يُقدِّم لنا بولس خمسَ خطواتٍ نحوَ إكتشافِ إرادةِ الله.

أولاً، إجعلَ الله محورَ حياتك. فبما أن الله هوَ مصدرُ كُلِّ شيءٍ، والقُوَّة الكامنة وراءَ كُلِّ شيءٍ، والهدفُ المرجوُّ من كُلِّ شيءٍ، فمن المنطقيِّ أن تجعلَ الله مركزَ حياتك.

ثانياً، إلتزم بالله. علينا أن نُلتزمَ بإرادةِ الله. تذكرُ ذلكَ المبدأ الأساسي الذي أعطانا إيَّاه يسوع عندما قال، "إن أرادَ أحدٌ أن يعملَ مشيئةَ الله، سوفَ يعرفها." (يوحنا ١٧ : ٧). فإن كانَ الله يعرفُ أنَّك مُلتزمٌ به، وأنك تُريدُ أن تعملَ مشيئتهُ، سوفَ يعلنُ مشيئتهُ لحياتك.

الخطوة الثالثة هي عندما نُصْبِحُ في مَوْجِ التَّسْلِيمِ. قال بولس أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَغَيَّرَ وَنَتَجَدَّدَ بِاللَّهِ. "تَجَدَّدُوا بِوِاسِطَةِ اللَّهِ". "تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ". عِنْدَ وِلَادَتِكَ الْجَسَدِيَّةِ، كَانَتْ وِلَادَتُكَ الْجَسَدِيَّةِ إِخْتِبَارَ تَسْلِيمِ. وَهَذَا هُوَ الْحَالُ مَعَ الْوِلَادَةِ الرُّوحِيَّةِ. فَاللَّهُ يَلْعَبُ الدَّوْرَ الْإِجَابِيَّ، وَنَحْنُ نَكُونُ مُسْتَسْلِمِينَ سَلْبِيًّا عِنْدَمَا تَتَجَدَّدُ أَذْهَانُنَا (٢ كُورِنْثُوسَ ٣: ١٨؛ ٥: ١٧، ١٨). فَعِنْدَمَا نَكُونُ قَدْ إِخْتَبَرْنَا "تَجْدِيدَ أَذْهَانِنَا"، يَكُونُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نُبْرَهِنَ بِالْإِخْتِبَارِ أَنَّ خُطَّةَ اللَّهِ لَنَا هِيَ صَالِحَةٌ، وَتُلَبِّي كُلَّ مُتَطَلِّبَاتِهِ، وَتَقُودُنَا نَحْوَ النُّضْجِ الرُّوحِيِّ.

يُقَدِّمُ لَنَا بُولُسُ الْخُطْوَةَ الرَّابِعَةَ عِنْدَمَا يَكْتُبُ قَائِلًا: "وَلَا تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ". (٢). بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، "لَا تَكُونُوا مِثْلَ الْآخَرِينَ. وَلَا تَدْعُوا الْعَالَمَ مِنْ حَوْلِكُمْ يُشَكِّلَكُمْ بِإِقْحَامِكُمْ فِي قَالِبِهِ". فَإِذَا فَعَلْتُمْ هَذَا، سَوْفَ تَفْقُدُونَ إِرَادَةَ اللَّهِ لِحَيَاتِكُمْ. وَلَكِنْ إِذَا تَشَبَّهْتُمْ بِالْمَسِيحِ، فَسَوْفَ تُخَالِفُونَ الْعَالَمَ. وَقِيَمُكُمْ لَنْ تَنْسَجِمَ مَعَ قِيَمِ الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ مِنْ حَوْلِكُمْ. وَأَخِيرًا، الْخُطْوَةُ الْخَامِسَةُ هِيَ أَنْ تَتَشَبَّهُوا بِالْمَسِيحِ. فَبِالنَّسْبَةِ لِبُولُسِ، إِحْدَى الطَّرِيقِ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْخُطْوَةِ هِيَ أَنْ تُدْرِكُوا أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَعْمَلُ مِنْ خِلَالِ شَعْبِهِ بِإِعْطَائِهِمْ مَوَاهِبَ رُوحِيَّةَ (٣ - ٨). هَذِهِ الْمَوَاهِبُ تُثَبِّتُ حَيَاتِكُمْ فِي الْمَسِيحِ وَتُؤَهِّلُكُمْ لِلْخِدْمَاتِ الرُّوحِيَّةِ. وَعِنْدَمَا تَكْتَشِفُونَ مَا هِيَ الْمَوَاهِبُ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ فِيكُمْ، وَتُسَلِّمُونَهَا لَهُ، وَتَسْتُخْدِمُونَهَا مِنْ أَجْلِهِ، هَذِهِ الْمَوَاهِبُ الرُّوحِيَّةُ سَوْفَ تَقُودُكُمْ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ وَقَصْدِهِ لِحَيَاتِكُمْ وَخِلَاصِكُمْ (أَفْسُسَ ٢: ١٠).

كُنْ حَقِيقِيًّا

إِذْ يُتَابَعُ بُولُسُ هَذَا الْمَقْطَعِ الْعَمَلِيَّ جَدًّا، يَحْتِثُنَا عَلَى أَنْ نُطَبِّقَ كُلَّ الْحَقِيقَةِ الَّتِي عَلَّمَنَا بِإِبَاهَا فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ عَلَى الْكَنِيسَةِ الْحَلِيَّةِ الَّتِي نَحْنُ جُزْءٌ مِنْهَا. إِنَّ تَرْجَمَتِي الْمُفَضَّلَةَ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ تَسْتَعْمِلُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا كَلِمَةَ "حَقِيقِيًّا" عَبْرَ تَطْبِيقِ هَذَا الْمَقْطَعِ التَّطْبِيقِيِّ مِنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ. أَوَّلًا، يَكْتُبُ: "كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرِّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ". (١٢: ٩). إِنَّهُ يَدْعُو إِلَى النِّقَاوَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَإِلَى الْقِدَاسَةِ الْحَقِيقِيَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

يَدْعُو بُولُسُ أَيْضًا إِلَى التَّوَاضُّعِ الْحَقِيقِيِّ: "غَيْرِ مُهْتَمِّينَ بِالْأُمُورِ الْعَالِيَةِ، بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَضَعِينَ". (١٢: ١٦). إِنَّ التَّوَاضُّعَ هُوَ فَضِيلَةٌ رُوحِيَّةٌ، تُوضَعُ بِإِسْتِمْرَارٍ فِي مَكَانَةٍ

سامية على برنامج عمل الرُّسُل. ثمَّ يدعو بُولُس إلى الوَحِدَةِ الحَقِيقِيَّة. الوَحِدَةُ التي يُقَدِّمُهَا بُولُس هُنَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى كَوْنِنَا جَمِيعاً وَاحِداً فِي المَسِيحِ وَأَعْضَاءَ جَسَدِهِ.

عندما يَكْتُبُ بُولُس، "وَأَدِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِالْحُبَّةِ الأَخَوِيَّةِ"، يَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَكُنَّ مَحَبَّةً حَقِيقِيَّةً لِبَعْضِنَا البَعْض. وَإِذْ يَصِفُ المَحَبَّةَ التي يُقَدِّمُهَا هُنَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الأُولَى إِلَى الكُورِنْثُوسِيِّينَ، يُظْهِرُ لَنَا مَا يَقْصِدُهُ بِالْحُبَّةِ الحَقِيقِيَّةِ (١ كُورِنْثُوسِ ١٣ : ٤ - ٧).
إِنَّ هَذِهِ لِحَقِيقَةٌ هَامَّةٌ تَظْهَرُ فِي المَقَاتِعِ التَّطْبِيقِيَّةِ فِي كُلِّ رِسَائِلِ بُولُسِ الرُّسُولِ.

ثُمَّ يَدْعُو بُولُسَ لِتَلْمِذَةِ الحَقِيقِيَّةِ. "مُشْتَرِكِينَ فِي إِحْتِيَاجَاتِ القَدِيسِينَ." (١٣) يَذْكُرُ بُولُسُ إِضَافَةً الغُرَبَاءَ كوَاحِدَةٍ مِنَ المَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ. فِي اللُّغَةِ الأَصْلِيَّةِ، يُعَلِّمُ بُولُسُ هُنَا لَيْسَ فَقَطْ أَنَّ هَتَمَ بِالضِّيَافَةِ، بَلْ أَنَّ "نُلاَحِقَ" النَاسَ بِمَحَبَّتِنَا. يُوَجِّهُ بُولُسُ أَنْظَارَنَا فِي مَكَانَيْنِ عَمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْطِيَهُ التَّلَامِيذُ الأَمْنَاءُ لِلكَنَائِسِ: إِنْتِشَارُ الإِنْجِيلِ، وَحَاجَاتُ المُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ يَدْعُو بُولُسَ إِلَى نَشَاطٍ حَقِيقِيٍّ. النَشَاطُ لَيْسَ بَدِيلاً عَنِ الإِنْتِاجِ. يَكْتُبُ بُولُسُ قَائِلاً، "غَيْرِ مُتَكَاسِلِينَ فِي الإِجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبِّ." "إِنْ كَلِمَةُ "إِجْتِهَادٍ" هُنَا تَعْنِي "الأَعْمَالِ." فَبُولُسُ بِالحَقِيقَةِ يَتَحَدَّثَانَا أَنَّ تَكُونَ لَدِينَا أَوْلِيَّاتٍ حَقِيقِيَّةً. فَلِكُونِنَا مُنْشَغَلِينَ بِأُمُورٍ عَدِيدَةٍ، جَمِيعُنَا مُتَوَرِّطُونَ فِيهَا يُسَمَّى "بِتَسَلُّطِ الأُمُورِ الطَّارِئَةِ." وَهَكَذَا لَا نَأْخُذُ وَقْتَنَا لِنُرَكِّزَ بِرُوحِ الصَّلَاةِ عَلَى أَوْلِيَّاتِنَا.

لَقَدْ كَانَ بُولُسُ الرُّسُولُ رَجُلًا عَرَفَ مَا هِيَ أَوْلِيَّاتُهُ. كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَكْتُبَ: "أَفْعَلُ شَيْئًا وَاحِدًا." (فِيلِيبِّي ٣ : ١٣). لَاحِظُوا كَيْفَ يَنْضَمُّ الأَشْخَاصُ الأَنْقِيَاءُ الَّذِينَ نَقَرْنَا عَنْهُمْ فِي الكِتَابِ المَقْدَسِ، كَيْفَ يَنْضَمُّونَ لَبُولُسِ فِي هَذَا النِّظَامِ الرُّوحِيِّ فِي التَّرْكِيزِ عَلَى أَوْلِيَّاتِهِمْ. لَقَدْ كَتَبَ دَاوُدُ مَا مَعْنَاهُ بِشَكْلِ أُسَاسِيٍّ: "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ." (المَزْمُورُ ٢٧ : ٤) إِنَّ الشَّيْءَ الوَحِيدَ الَّذِي رَكَزَ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ دَاوُدُ وَبُولُسُ، كَانَ عَلاَقَتُهُمَا مَعَ اللَّهِ، وَإِظْهَارُهُ إِرَادَتَهُ لهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا اليَوْمِيَّةِ. لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مِثْلِ عَنِ التَّرْكِيزِ عَلَى الأَوْلِيَّةِ فِي الكِتَابِ المَقْدَسِ أَعْظَمَ مِنَ الأَوْلِيَّاتِ التي طَبَّقَهَا يَسُوعُ المَسِيحُ.

وَهَكَذَا يَحُضُّ بُولُسُ أَوْلِيَّاتِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَقِيقَةِ الإِنْجِيلِ الرَّائِعَةِ التي شَارَكَهَا مَعْنَا، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمُ الدَّفَاعُ الحَقِيقِيُّ وَالشَّهَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ، وَالصَّلَاةُ الحَقِيقِيَّةُ وَالإِيمَانُ الحَقِيقِيُّ (١٤ - ٢١). لَاحِظُوا التَّشْدِيدَ عَلَى التَّطْبِيقِ اليَوْمِيِّ لِلإِنْجِيلِ فِي الحَيَاةِ الحَقِيقِيَّةِ عَلَى حَيَاتِنَا

في الإصحاحات التطبيقية لهذه التُحفة اللاهوتية التي نُسمِّيها "رسالة بُولس إلى أهل رومية".

المؤمنون كمواطنين

في الإصحاح الثالث عشر، يُرينا بُولس كيف نُطبِّقُ إنجيلَ التبرير بالإيمان كمواطنين. بالرغم من أننا تعلّمنا في سفر الأعمال أن هناك وقتاً للمؤمن حيث بإمكانه أن يُمارسَ العِصيانَ المدني عندما تتعارضُ أوامِرُ الحكومات مع وصايا الله. في هذا الإصحاح، يكتُبُ بُولس ثلاثَ مرّاتٍ قائلاً أن ضابطَ الدولة الذي يُلزمُ تطبيقَ القانون هو "خادم الله". (١٣ : ٤، ٦). فهو كخادمِ الله المرسوم، التعبيرُ الحاضر عن غضبِ الله" (٤).

فبُولس لا يتكلّم عن ضابطي القانون المتحدّدين الذي يفرضون تطبيقَ القانون، بل يتكلّم عن الجنود الرومانيين. إن كلمة "مرسوم" تعني بالحقيقة، "موضوعاً في مكانه بطريقة استراتيجية". إن خُدّامَ الإنجيل المرسومين هم موضوعون استراتيجياً ليكرزوا بقانونِ الله. وضباطُ السلام المرسومين هم موضوعون لتطبيقِ قانونِ الله. لقد كتبَ بُولس ما فحواه، "إذا أردتم أن تنجوا من عقابهم، أطيعوا القانون. ولكن إن كنتم تسرقون أو تقتربون الجريمة، وإستخدموا السيفَ ضدكم، فإنهم يستخدمون السيفَ كخُدّامِ الله".

بما أن مفهومَ ضرورة وجود قانون ونظام يجد جذوره في الله، فإن إلزامَ تطبيقِ القانون يجد جذوره الأساسية في سلطةِ الله. ولكن، عندما تفسدُ حكومة وتنحل، وتُصبح قوانينها مناقضةً لقوانينِ الله، يحينُ الزمانُ والمكانُ للعِصيانِ المدنيّ (أعمال ٥ : ٢٩).

خلافات تلاميذ

في الإصحاح الرابع عشر، يُوجّهُ بُولس تطبيقه العمليّ إلى الخلافات بين التلاميذ في روما. لم يكن بُولس قد زارَ التلاميذ في روما بعد، ولكن بما أن كلَّ الطرق كانت تقودُ إلى روما عندما كتبَ هذه الرسالة، فلقد عرفَ الكثير من المؤمنين الذين كانوا هناك أو كانوا سيسافرونَ عرضاً إلى روما. وعرفَ أنه كانت تُوجدُ خلافاتٌ بين التلاميذ هناك.

إنَّ المجمعَ الكنسيّ الأوّلَ دُعِيَ ليجدَ حلاً لهذه القضية: إنَّ تلاميذَ يسوع الأُمميين لم يرغبوا أن يعيشوا مثل اليهود المتديّنين، بينما رغبَ التلاميذُ المتحدّدون من اليهود أن يستمرّوا بالعيش مثل اليهود المتديّنين، بينما كان هذان الفريقان يتبعان مَسياً يهوديّ

(أعمال ١٥). ولقد كان قرارُ ذلكَ المجمع هو أنَّ التلاميذَ الأُمِّيِّين لم يَكُنْ مطلوباً منهم أن يُصَبِّحُوا يَهُوداً، وَسُمِّحَ للتلاميذ من أصلٍ يَهُودِيٍّ أن يُحَافِظُوا على طُرُقِهِم اليَهُودِيَّة، بينما كانَ هذانِ الفَرِيقانِ يتبعانِ المسيحَ. ورُغِمَ أن هذه القَضِيَّة وَجَدت حلاً رَسْمِيًّا، فبينما حاولَ هؤلاء التلاميذ اليهود والأُمم أن يَكُونُوا واحداً في المسيح، إِسْتَمَرُّوا بِخِلافَتِهِم الجَدِيَّة - خاصَّةً حِيالَ نظامِ طعامِهِم وأعيادِهِم.

بعضُ المؤمنِينَ من أصلٍ يَهُودِيٍّ إِسْتَمَرُّوا بِالإِحْتِفَالِ باليومِ السَّابعِ (السبت) كاليوم الذي يَنبَغِي أن يُخَصَّصَ لِلعِبَادَةِ وَالرَّاحَةِ والتَّجْدِيدِ. ولكي يَحْتَفِلُوا بِقِيَامَةِ يَسُوعَ، غَيْرَ الرُّسُلِ، الذي كانوا جَمِيعُهُم يَهُوداً، غَيَّرُوا يَوْمَ عِبَادَتِهِم من اليومِ السَّابعِ إلى اليومِ الأوَّلِ من الأُسبُوعِ. ولم يَرِ المُتَجَدِّدُونَ من الأُممِ أيَّ سببٍ لِلإِحْتِفَالِ باليومِ السَّابعِ لِلعِبَادَةِ.

أخبرَ بُولُسُ المؤمنِينَ الرومانَ أن يجدوا حلاً لِخِلافَتِهِم على هذا الأساس: "واحدٌ يَعتَبِرُ يوماً دُونَ يومٍ وآخَرَ يَعتَبِرُ كُلَّ يَوْمٍ. فَلَيَتَيَقَّنْ كُلُّ واحدٍ في عَقلِهِ." (١٤ : ٥) يَقصُدُ أَنَّهُ بِالإِضَافَةِ إلى الجَدَلِ حَولَ يومِ السبتِ، إِعتَبَرَ بعضُ المؤمنِينَ اليومَ الأوَّلِ من الأُسبُوعِ "يومَ الرَّبِّ." مُؤْمِنُونَ آخَرُونَ إِعتَبَرُوا كُلَّ يَوْمٍ من أَيَّامِ الأُسبُوعِ كَيَوْمِ الرَّبِّ." ما الذي يَعْنِيهِ "فليَتَيَقَّنْ في عَقلِهِ" في مُعالِجَةِ هذه الخِلافاتِ؟ "أولاً، يَكْتُبُ بُولُسُ أَنَّهُ عَلِينَا أن نَكُونَ مُقْتَنِعِينَ تَمَاماً على أساسِ ضَمِيرِنَا. قالَ أَحَدُهُم، "الضَمِيرُ هُوَ صَوْتُ صَغِيرٍ هَادِيٍّ يَجْعَلُنَا نَشعُرُ أَنَّنَا أصغَرُ." بِمُعْظَمِهِ الضَمِيرُ هُوَ تَجَاوُبٌ مُكَيَّفٌ مِنْذُ سِنِي التَّربِيَةِ مِنَ الأهلِ وَالآخَرِينَ.

من المُهِمِّ أن نُلَاحِظَ أن بُولُسَ لا يَنصَحُ بِالضَمِيرِ كَمُرْشِدٍ أَمِينٍ يَمكِنُ الإِعْتِمَادَ عَلَيْهِ بِإِسْتِمْرَارٍ. وَلَكِنَّهُ يَنصَحُنَا بِالإِصغَاءِ إلى ضَمِيرِنَا عَندما يَقُولُ لَنَا أن ما نَعْمَلُهُ هُوَ خَطَأً. إِنَّهُ يُؤكِّدُ على قرارِ مَجْمَعِ الكَنِيسَةِ الأُولَى أن المؤمنِينَ من أصلٍ يَهُودِيٍّ لَدِيهِمُ حَقٌّ وَمَسْئُولِيَّةٌ بِإِحْتِرَامِ نظامِ الطعامِ والأعيادِ في تَقْلِيدِ دِيانَتِهِم، وَالْمُؤْمِنُونَ الأُممِ لا يَنبَغِي أن يُرغَمُوا على أن يُطَبِّعُوا التَقَالِيدَ اليَهُودِيَّةَ في هذه القَضِيَا.

لقد تَقَدَّمَ بُولُسُ خُطوةً أبعَدَ إلى الأمامِ عَندما كَتَبَ أَنَّهُ عَلَيْكَ أن تَكُونَ مُقْتَنِعاً تَمَاماً في عَقلِكَ، بِنَاءً على قِنَاعَتِكَ (٦). إِنَّ القِنَاعَةَ لَيْسَتْ ما يُعَلِّمُنَا إِيَّاهُ أَهلُنَا. إِنَّهَا نَتِيجَةُ عَمَلِ الرُّوحِ القُدُسِ في حَيَاتِنَا. فالرُّوحُ القُدُسُ لا يُقنِعُنَا جَمِيعاً كَمُؤْمِنِينَ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا.

يتقدّم بولس ليقول أنّه علينا أن نجد حُلُولاً لهذه القضايا على أساس مُراعاة الأخ الذي يَخْتَلِفُ عَنَّا (١٠ - ٢٣). فحتّى ولو لم يكن أحنانا مُصيّباً، وإن كان يُؤمّن بالضمير والإقْتِناع أنّ شيئاً ما هو خطأ، فلدينا مسؤوليّة تجاهه.

يُبرِزُ بولس هذا المبدأ في عمق أكثر للكورنثوسيين (١ كورنثوس ٨ - ١٠). يكتب لأهل رومية وللكورنثوسيين أنّ القضيّة هنا ليست ما هو صوابٌ وما هو خطأ، بل كم نكن لأحنينا من المحبة. فليس علينا أن نُشكّل حجرَ عثرة. بل علينا أن نعملَ كُلَّ ما بوسعنا لنبنّي أحنانا. فبالنهاية، ينصح بولس أن نجد حُلُولاً لهذه المشاكل على أساس تلك المحبة التي نُبرِزها في إصحاح المحبة الشهير (١ كورنثوس ١٣).

قلب بولس الإرساليّ

بإمكاننا أن نتعرّف إلى الرسول بولس بحق في الإصحاح الخامس عشر. لقد كان العالم على قلب هذا الرسول. ففي سفر الأعمال رأينا بولس مُصيراً على الذهاب إلى رومية. ولكن الآن، يكتب بولس إلى أهل رومية قائلاً، "فعندما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم. لأنّي أرجو أن أراكم في مروري وتشيّعوني إلى هناك." (رومية ١٥ : ٢٤). لقد توسّعت رؤيته الآن لتصل إلى ما بعد روما. كان لديه إصرار على السفر إلى روما، لأنّه كان يعتمد على المؤمنين في رومية أن يوفّروا له قاعدة داعمة ليشرّ بالإنجيل في أسبانيا.

التطبيق الشخصي

لا يسعنا إلا أن نشعر بالتحدي عندما نرى بولس الرسول يُطبّق على العالم أجمع الإنجيل الذي فسّره بالتفصيل في هذه الرسالة. وإذ نختّم دراستنا لرسالة بولس الرسول الرائعة إلى أهل رومية، فإنّ التحدي الواضح الموضوع أمامك وأمامي هو أن نُطبّق حقيقة هذه الرسالة شخصياً. فهل لدينا سلام مع الله من خلال إيماننا الشخصي بما فعله يسوع المسيح من أجلنا على الصليب؟ وهل وجدنا شخصياً وُصُولاً بالإيمان إلى النعمة التي تُمكننا من الوقوف من أجل المسيح في عالمنا، وأن نحيا كأشخاص أُعلنوا أبراراً من قبل الله - حياة تُمجد الله؟ فهل نحن نملك بالحياة بالإيمان بملكنا يسوع؟ وهل نحن نُركّز أفكارنا على "ناموس رُوح الحياة في المسيح" الذي يُحرّرنا من "ناموس الخطيّة والموت؟"

عندها علينا تطبيقَ حقيقةِ هذه الرسالة على الإخوة والأخوات في كنيستنا المحلّية، وعلى مواطنيتنا وعلى علاقتنا بأوطاننا. وفي النهاية، مثل هذا الرسول المحبّوب، علينا أن نُطبّقَ الحقيقةَ العميقةَ لهذه التّحفّة اللاهوتيّة على أولئك الذين في العالم اليوم، الذين لم يسبق لهم بتاتاً أن سمعوا بهذا الإنجيل المجدد. ومثل بولس، نحنُ مديّنونَ لكلِّ أولئك الذين هم حولنا، وعلينا أن نكونَ دائماً مُستعدينَ للكراسةَ بإنجيلِ المسيح بدونِ حَجَلٍ: لأنّه قُوّةُ الله للخلاص لكلِّ من يُؤمن. (رومية ١: ١٤ - ١٦).